

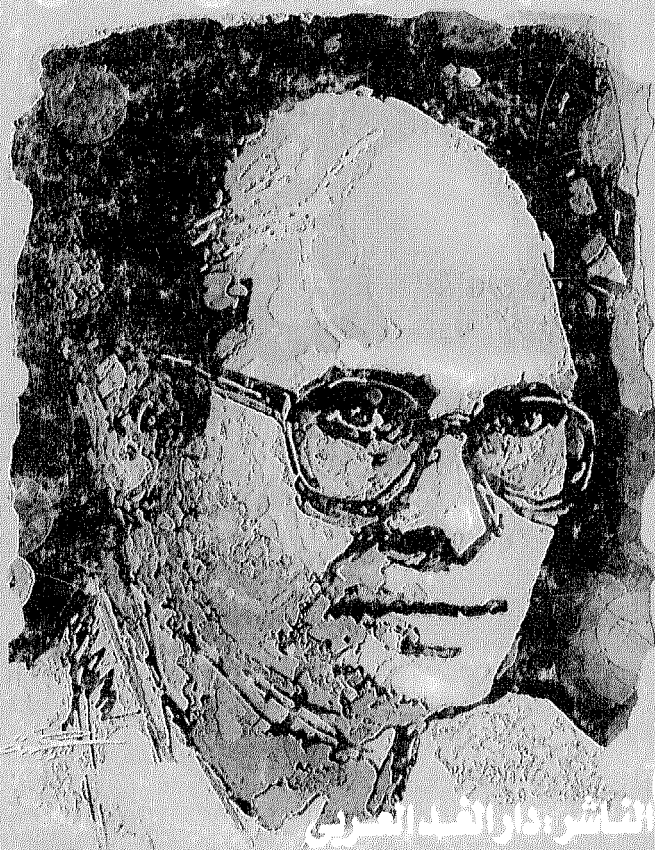
د. جمال حمدان

صفحات من أوراقه الخاصة

تنشر لأول مرة

اعداد وتقديم:

د. عبد الحميد صالح حمدان



0159078



Bibliotheca Alexandrina

الناشر: دار الفكر العربي

دار الفد العربي



سلسلة « كتاب الفد » ٢

د . جمال حمدان

صفحات من أوراقه الخاصة

مذكرات في الجغرافيا السياسية

تتشر لأول مرة

إعداد وتقديم

د . عبد الحميد صالح حمدان

الطبعة الأولى

١٩٩٦ م



الناشر
دار الفد العربي
٣ ش - دانش - العباسية
ب: ٢٨٥٦١٢٣ - ٢٩٧٣٨٧٠ - القاهرة



سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافية والسياسية
التي تهتم القاري العربي ..

المشرف العام على السلسلة

حمدان جعفر

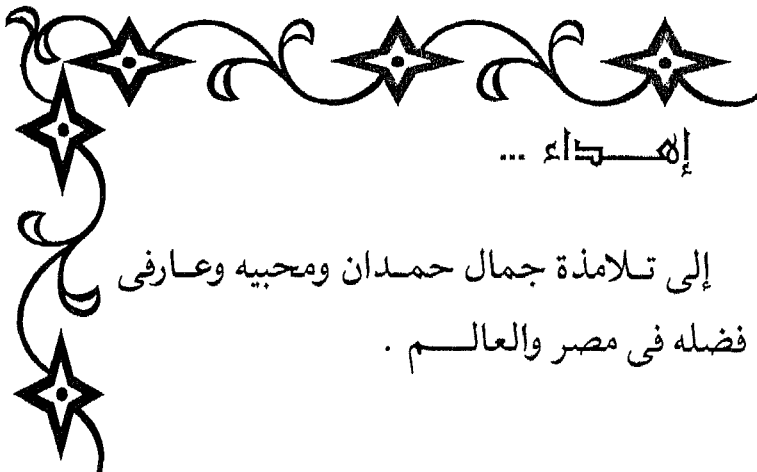
حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر



د. جمال حمدان

مذكرات في الجغرافيا السياسية ..

تنشر لأول مرة



مذكرات فى الجغرافيا السياسية ..

تقديم : ...

بعد أن انتهى جمال حمدان عام ١٩٨٩ من ملحمة العلمية الكبرى «شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان» التى صدرت فى أربعة أجزاء على مدى عشر سنوات كاملة ووصل مجموع عدد صفحاتها إلى نحو أربعة آلاف صفحة من القطع الكبير، فإنه لم يكف عن الكتابة والبحث كعادته، وكان - فى سبيل ذلك يدون ما يعن له من أفكار وآراء أولا بأول ويوما بيوم دون تسلسل زمانى أو مكانى، وإنما تسجيلا لما يدور فى ذهنه من خواطر وتفاعلات تدخل فى صميم اهتماماته ببلده وبالعالم العربى والإسلامى .
[انظر اللوحين ١ - ٢] .

وقد كان الهدف من هذه «المسودّات» العلمية هو وضع اللبّات الأولى لكتابه الذى كان ينوى إخراجه عن جغرافية الإسلام . وقد حدثنى أخى جمال فى هذا الصدد وقبل وفاته وأخبرنى بأنه قد انتهى من آخر مؤلفاته ، وبأنه قد اختار له عنوان «العالم الإسلامى فى الاستراتيجية العالمية» [انظر اللوحة ٣] ، وبأنه سيدفع به إلى المطبعة قريبا .

وقد كتب جمال حمدان هذه المسودات فى الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٩٠ و ١٩٩٣ ، وهى فترة من الفترات العصيبة التى مر بها العالم العربى والإسلامى ، والتى شهدت بداية تفككه وتشردمه .

وقد أعادت هذه المسودات إلى ذهنى المخطوطة التى تركها المفكر الفرنسى بسكال [المتوفى عام ١٦٦٢] ، والتى نشرت بعد وفاته بحوالى ثمانى سنوات ، وفى يناير ١٦٧٠ على وجه التحديد ، وحملت العنوان الشهير «أفكار بسكال» (les Pensees de Pascal) . وقد احتوت على شذرات مما خلفه من مسودات كان ينوى إصدارها فى مؤلف مستقل يحمل أفكاره وتوجهاته العقلية ونقده للحياة الدينية فى عصره ، والتى شكلت أسس التطورات التى قامت عليها العقلانية الدينية فى أوروبا ومهدت الطريق إلى ظهور العلمانية الغربية فى وقت لاحق . .



ومذكرات جمال حمدان التى بين أيدينا اليوم والتى تنشر لأول مرة تضم نوعين من الأفكار: الأول هو النوع القصير المقتضب الذى لم يتبلور بعد ، والآخر هو المطول الذى أخذ شكله النهائى فى سياق البحث أو الدراسة .

وقد توخينا أثناء عملنا فى هذه المذكرات لإخراجها إلى النور عدم المساس بها ، لا بالحذف ولا بالإضافة ، احتراماً لفكر الراحل الجليل ، وإعمالاً للمناهج العلمية الأصيلة التى أفنى عمره فى الأخذ بها والدعوة إلى ترسيخها وإرساء دعائمها . ومع ذلك ، فقد حجبنا نشر أجزاء كبيرة من هذه المذكرات ، بعد أن رأينا أن الوقت لم يحن بعد لنشرها نظراً لما جاء بها من آراء وأفكار سبق بها جمال عصره واتسمت بالشجاعة والصراحة المعهودتين فيه ، والتى تحلى بهما طوال حياته ، فهو كان يفعل ما يقول ويكتب ما يؤمن

به مهما كلفه ذلك غاليا . . وتلك سمات حفنة من العلماء الأحرار الذين قامت على أكتافهم الثقافات والحضارات التي عرفها التاريخ ، والتي ذاقوا في سبيلها ألوانا من الحرمان والاضطهاد بل والموت أحيانا ! ونعاهد القارئ الكريم إذا ما آن الأوان ، وإذا ما كان في العمر بقية إصدار هذه الأجزاء في وقت لاحق لعله قريب ! .



وقد قسمنا هذه المذكرات إلى خمسة فصول . فأوردنا في القسم الأول مسوداته التي دونها عن مصر والمصريين ؛ وجاء الفصل الثاني عن الجغرافيا والجغرافيين . أما الفصل الثالث فقد خصص للعرب والعالم العربي ؛ والفصل الرابع عن الإسلام والعالم الإسلامي . وتناول الجزء الخامس العالم الغربي .



نبذة عن تاريخ حياة جمال حمدان :

ولد جمال حمدان في قرية ناى بمحافظة القليوبية «مصر» في ٤ فبراير ١٩٢٨ ، في أسرة كلها صلاح وعلم ، تنحدر من قبيلة «بنى حمدان» العربية التي نزحت إلى مصر مع غيرها من القبائل العربية أثناء الفتح الإسلامي . ولما وصل إلى سن دخول المدرسة الابتدائية ، أدخله والده مدرسة شبرا الابتدائية للبنين عام ١٩٣٦ ، وحصل منها على شهادة الابتدائية في يونيه ١٩٣٩ ، والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية في سبتمبر من نفس العام ، وهو تاريخ إعلان الحرب العالمية الثانية . وقد واكبت سنوات دراسته في هذه المدرسة جميع سنى الحرب ، وما أفرزته من آلام ودمار . وفي هذه المدرسة - وبالتحديد في السنة النهائية - التقى بأستاذه الفاضل محمود جمال الدين ،

أستاذ الجغرافيا بالمدرسة الذى حبيب إليه هذا العلم ، وجعله يصمم على متابعة دراسته بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول [القاهرة حاليا] بعد حصوله على شهادة التوجيهية [الثانوية العامة حاليا] عام ١٩٤٤ بتفوق وكان ترتيبه السادس على طلبة القطر المصرى .

وكانت سنوات دراسته الجامعية كلها جد واجتهاد حيث تتلمذ على أساتذة أفذاذ ، وتعلم اللغة الألمانية وأجادها فى تلك الأثناء . ولما تخرج بامتياز عام ١٩٤٨ كان عمره لا يتجاوز العشرين سنة ! فعين معيدا بالكلية فى نفس السنة . وابتعثته الجامعة إلى إنجلترا لاستكمال دراساته العالية . فسافر إلى هناك فى مارس ١٩٤٩ ، والتحق بجامعة ريدينج ، وعاد منها بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه عام ١٩٥٣ . وانضم إلى هيئة التدريس بقسم الجغرافيا ، وظل يعمل به إلى أن استقال عام ١٩٦٩ ، وتفرغ للبحث والتأليف حتى وفاته إثر حادث أليم فى ١٧ أبريل ١٩٩٣ م :



قائمة بمؤلفاته المنشورة باللغة العربية :

- * دراسات فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * أنماط من البيئات ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * دراسة فى جغرافيا المدن ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * المدينة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * بترول العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * الاستعمار والتحرير فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * اليهود أنثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .

- * شخصية مصر، كتاب الهلال، ١٩٦٧ .
- * استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة، ١٩٦٨ .
- * مقدمة كتاب «القاهرة» لـديزموند ستيفورت، ترجمة يحيى حقى،
١٩٦٩ .
- * العالم الإسلامى المعاصر، القاهرة ١٩٧١ .
- * بين أوروبا وآسيا، دراسة فى النظائر الجغرافية القاهرة، ١٩٧٢ .
- * الجمهورية العربية الليبية، دراسة فى الجغرافيا السياسية القاهرة،
١٩٧٣ .
- * ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية، القاهرة، ١٩٧٤ .
- * قناة السويس، القاهرة ١٩٧٥ .
- * أفريقيا الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥ .
- * موسوعة «شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان» ٤ أجزاء،
القاهرة، ١٩٧٥ - ١٩٨٤ .



المقالات المنشورة باللغة العربية

فى المجلات والجراند

فى مجلة «الهلال» :

- ١ - فلسطين والوحدة - سنة ١٩٦٤ « ١٠ صفحات » .
- ٢ - نحو حل علمى لمشكلة قبرص - أكتوبر سنة ١٩٦٤ « ١٠
صفحات » .

- ٣- ماذا تعد إسرائيل عسكرياً - نوفمبر سنة ١٩٦٤ « ٨ صفحات » .
- ٤- أصول تاريخية وجغرافية في مصر - البيروقراطية والجغرافيا - فبراير سنة ١٩٦٥ « ١٢ صفحة » .
- ٥- هل تملك إسرائيل سلاحاً ذرياً - مايو سنة ١٩٦٥ « ١٢ صفحة » .
- ٦- إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين - عدد فلسطين « ٥ » السنة ٧٦ مايو سنة ١٩٦٨ « ٢٠ صفحة » .
- ٧- مقتطفات من مقالة «هل تملك إسرائيل أسلحة ذرية» - عدد الهلال الماسي « ٧٥ » . مع صورة للدكتور/ جمال حمدان «صفحة واحدة» .



في مجلة «الكاتب» :

- ١- الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتهما - العدد « ٥٩ » فبراير سنة ١٩٦٦ « ١٥ صفحة » .
- ٢- معركة العودة والاستراتيجية النووية - العدد « ٦٠ » مارس سنة ١٩٦٦ « ١٨ صفحة » .
- ٣- نافذة على البحر الأحمر - القصير لابرنيس - العدد « ٦٢ » مايو سنة ١٩٦٦ « ١٠ صفحات » .
- ٤- قضية فلسطين والموقف العربي العدد « ٦٥ » أغسطس سنة ١٩٦٦ « ١٩ صفحة » .
- ٥- قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية العدد « ٦٧ » أكتوبر سنة ١٩٦٦ « ١٧ صفحة » .

- ٦ - قضية فلسطين والعدو الإسرائيلي - العدد «٦٨» نوفمبر سنة ١٩٦٦ «٢٥ صفحة» .
- ٧ - الأردن دولة - دراسة في الجغرافيا السياسية «١» العدد «٧٠» يناير سنة ١٩٦٧ «٢٠ صفحة» .
- ٨ - الأردن دولة - دراسة في الجغرافيا السياسية «٢» العدد «٧١» فبراير سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .
- ٩ - نظرة على الموقف قبل المعركة - العدد «٧٥» يونيو سنة ١٩٦٧ «١٧ صفحة» .
- ١٠ - أهداف ثابتة ووسائل متغيرة - العدد «٧٧» أغسطس سنة ١٩٦٧ «٢١ صفحة» .
- ١١ - حول الدعوة إلى نظرة جديدة إلى القضية الفلسطينية العدد «٨٥» إبريل سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .
- ١٢ - فلسطينيات - بين معركة الدعاية ومعركة الميدان - العدد «٨٧» يونيو سنة ١٩٦٨ «٢٤ صفحة» .



في مجلة «مرآة العلوم الاجتماعية» :

- ١ - مورفولوجية الشام العدد الثاني، مارس سنة ١٩٦٤ «٢٦ صفحة» .
- ٢ - نحو مدرسة عربية في الجغرافيا - العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٤ «٢٨ صفحة» .
- ٣ - الزراعة في سوريا، العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٥ «٢٠ صفحة» .

- ٤ - دموغرافية العواصم الأفريقية، العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٢ «١٢ صفحة».
- ٥ - أفريقيا - من جغرافية الاستعمار إلى التحرير العدد الثاني مارس سنة ١٩٥٨ «١٣ صفحة».
- ٦ - هذه الجغرافية، العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥٧ «١٠ صفحات».
- ٧ - الموقع الاستراتيجية للعالم العربى - العدد الثاني يونيو سنة ١٩٥٨ «١٣ صفحة».
- ٨ - التخطيط الإقليمى بين موارد المياه والسكان فى مصر - العددان الرابع والخامس - مايو سنة ١٩٥٩ «١٤ صفحة».
- ٩ - تخطيطنا الإدارى فى ضوء نظام الحكم المحلى - العدد الثالث، يونيو سنة ١٩٦١ «١٧ صفحة».
- ١٠ - أسماء الأماكن فى العالم العربى - العدد الثاني، مارس سنة ١٩٦٣ «١٤ صفحة».
- ١١ - الصناعة السورية - العدد الثاني، مارس سنة ١٩٦٦ «١٦ صفحة».



فى مجلة «الفكر المعاصر» :

- ١ - هيكل المجتمع الإسرائيلى - العدد «٦» أغسطس، سنة ١٩٦٥ «١٠ صفحات».
- ٢ - حول وحدة الرافدين والنيل - دراسة علمية لقوة العراق الاستراتيجية، العدد «١٢»، فبراير سنة ١٩٦٦ «١٢ صفحة».

- ٣ - خريطة القومية الأفريقية : تحليل علمى منهجى لوضع الإنسان الأفريقى المعاصر - العدد «١٤» ، أبريل سنة ١٩٦٦ «١١ صفحة» .
- ٤ - من جغرافية الإسلام : دراسة رائدة عن توزيع المسلمين فى العالم - العدد «٢٠» ، أكتوبر سنة ١٩٦٦ «١٨ صفحة» .
- ٥ - ليس اليهود من بنى إسرائيل : دراسة علمية لأسطورة الأصل اليهودى - مهداة إلى سارتر - العدد «٢٤» ، فبراير سنة ١٩٦٧ «١٢ صفحة» .
- ٦ - المعركة لم تنته من بنى . . بل بدأت - العدد «٣٠» ، أغسطس سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .
- ٧ - نحن والدولة العصرية - العدد «٤١» ، يوليو سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .



- فى مجلة « كلية الآداب » :
- ١ - فى العلاقة بين السكان والتضاريس - دراسة فى جغرافية السكان - المجلد «١٩» الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧ «٢٠ صفحة» .
 - ٢ - العلمية الجديدة - نحو نظرية معرفة متطورة ، وعلم منهج جغرافى ، عدد «٥٢» ١٩٩١ .



- فى مجلة « نهضة أفريقيا » :
- ١ - الخريطة السياسية الأفريقية ، «١» ، «٢» ، مقالتان - العددان «٦٩» ، «٧٠» أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٣ «٨ صفحات» .
 - ٢ - الخريطة السياسية لأفريقيا الجديدة - العدد «٧٠» سبتمبر ١٩٦٣ «٩ صفحات» .

٣ - العواصم الأفريقية «١»، «٢»، «٣» ثلاث مقالات - الأعداد «٧٣»، «٧٤»، «٧٥» ديسمبر سنة ١٩٦٣ يناير وفبراير سنة ١٩٦٤ «٦»، «٥»، «٧» صفحات.



في مجلة «المجلة» :

١ - الإسلام في أفريقيا، دراسة سياسية - العدد «٨٢» نوفمبر ١٩٦٣ «٧» صفحات.

٢ - جغرافية الثورة - العدد «٨٨» أبريل ١٩٦٤ «٢٠» صفحة .

٣ - جوانب سياسية في بترول العرب - العدد «٩١» يوليو ١٩٦٤ «١٤» صفحة .

٤ - شخصية مصر - مركزية رغم الامتداد - العدد «٩٥» نوفمبر ١٩٦٤ «٩» صفحات .

٥ - شخصية مصر - بين مياه النيل وطريق السويس - العدد «٩٦» ديسمبر ١٩٦٤ «١٠» صفحات .

٦ - شخصية مصر - تعدد الجوانب - العدد «٩٧» يناير ١٩٦٥ .

٧ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «١» - العدد «١٠٥» سبتمبر ١٩٦٥ «٢٠» صفحة .

٨ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٢» - العدد «١٠٦» أكتوبر ١٩٦٥ «٢٠» صفحة .

٩ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٣» - العدد «١٠٧» نوفمبر ١٩٦٥ «٢٥» صفحة

- ١٠ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٤» - العدد «١٠٨» ديسمبر ١٩٦٥ «٢٢ صفحة» .
- ١١ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٥» - العدد «١٠٩» يناير ١٩٦٦ «١٢ صفحة» .
- ١٢ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٦» - العدد «١» ١٩٦٦ .
- ١٣ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٧» - العدد «١١٢» أبريل ١٩٦٦ «١٦ صفحة» .
- ١٤ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «١» - العدد «١٣٦» أبريل ١٩٦٨ «١٦ صفحة» .
- ١٥ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٢» - العدد «١٣٧» مايو ١٩٦٨ «١٣ صفحة» .
- ١٦ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٣» - العدد «١٣٨» يونيو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .
- ١٧ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٤» - العدد «١٣٩» يوليو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .



فى مجلة «الأهرام» :

- ١ - من مشاكل الحكم المحلى - عصر التفرقة بين «مديرية» «محافظة» لايزال باقيا «٢٦ / ٨ / ١٩٦٤» .
- ٢ - حول برنامج العمل الوطنى والدعوة إلى خريطة حدوده لمصر - خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠ (١) الأهرام «١١ / ٨ / ١٩٧١» .

- ٣- قضية إعادة بناء القرية (٢) الأهرام «١٥/٨/١٩٧١» .
- ٤ - اتحاد الجمهورية العربية : الدولة والرسالة — الأهرام «١٩٧١/٩/٢» .
- ٥ - معادلة القوة الجديدة فى الاستراتيجية العالمية : لعبة توازن القرن التاسع عشر . فى صورة أكبر - الأهرام «١٣/٢/١٩٧٣» .
- ٦ - محاور الاستقطاب فى آسيا : هل تصبح آسيا الجديدة . . هى أوروبا القرن الجديد - الأهرام «٢٤/٣/١٩٧٣» .
- ٧ - اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض — الأهرام «١٩٧٣/٧/١٤» .
- ٨ - لا تنقلوا عاصمة مصر «١٨/٦/١٩٧٦» .



مقالات أخرى فى مصادر متنوعة :

- ١ - نمو وتوزيع السكان فى مصر ١٩٥٩ - القاهرة .
- ٢ - إعادة بناء القرية المصرية - مجلة الطليعة - عدد مايو ١٩٧٦ .



**قائمة بمؤلفاته وبحوثه
المنشورة باللغة الإنجليزية**

- Population of the Nile Mid - Delta, past and present, Reading University, June 1953, 2 vol..
- Khartum: study of a city, Geog. Review, 1956.
- Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1960.
- Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in :
A history of land use in arid regions, ed. L. Dubley Stamp, Unesco, Paris, 1961.
- Egypt, the land and the people, in: Guide book to geology, 1962.
- Pattern of medieval urbanism in arab world, Geog. Review, April 1962.
- Political map of the new Africa, Geog. Review, oct. 1963.
- The four dimensions of the Egypt, Cairo, 1994.



* مؤلفات صدرت عن جمال حمدان :

١ - «جمال حمدان في ذمة التاريخ» للدكتور محمد الغنيمي مقلد ،
القاهرة ١٩٩٣ .

٢ - صاحب شخصية مصر وملامح من عبقرية الزمان ، للدكتور
عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ١٩٩٣ .
وذلك بالإضافة إلى العديد من البحوث والمقالات التي صدرت في
المجلات والصحف المصرية والعربية .



وبقيت لنا كلمة أخيرة . لقد آلينا على أنفسنا رغم صعوبة المهمة وما
يحفها من مزالق ، إصدار هذا الجزء في شكله الحالي ، إيماناً منا بأن من
حق القارئ الكريم علينا أن يطلع ، ولو جزئياً ، على ما خلفه الراحل الدكتور
جمال حمدان من آراء وأفكار تدعو كلها إلى التأمل والتفكير ، وتناولت أموراً
على درجة كبيرة من الأهمية لمصر والعالم العربي والإسلامي وعلاقاته مع
الغرب ، وهي موضوعات محورية وحاسمة تفرض نفسها على مصير
الشعوب وهويتها وهي على أعتاب القرن الحادي والعشرين .
ورأينا أنه من الخطأ أن تظل هذه «المسودّات» حبيسة الأدراج دون أن ترى
النور بعد أن أصبح صاحبها ملكاً لمصر وتاريخها . .

دكتور

عبد الحميد صالح حمدان



[illegible]



مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الأول

مصر

والمصريون

١

الفصل الأول

١

مصر والمصريون

مصر والمصريون

* مصر اليوم : إما القوة أو الانقراض ، إما القوة وإما الموت ! إن لم تحقق مصر محاولة قوة عظمى تسود المنطقة بأثرها ، فسوف يتداعى عليها الجميع يوما ما «كالقصعة»! أعداء وأشقاء وأصدقاء ، أقربين وبعيدين «وأبعدين»! . زنوج أفريقيا سيكونون أول أبناء آوى ، ولكنهم سيدعون زنوج النيل لينوبوا عنهم ويقفون هم يتفرجون في حياد كاذب في انتظار العزاء بعد الوفاة (الحبشة + السودان + أعالي النيل قد يحاربون مصر يوما ما عسكريا ! ثم إسرائيل + عرب البترول + تركيا وإيران . . إلخ) .

المشرق العربى هو «خاصرة» العالم الإسلامى المحصورة بين «البحا الخمسة» : المتوسط ، الأحمر ، البحر العربى ، الخليج ، البحر الأسود .

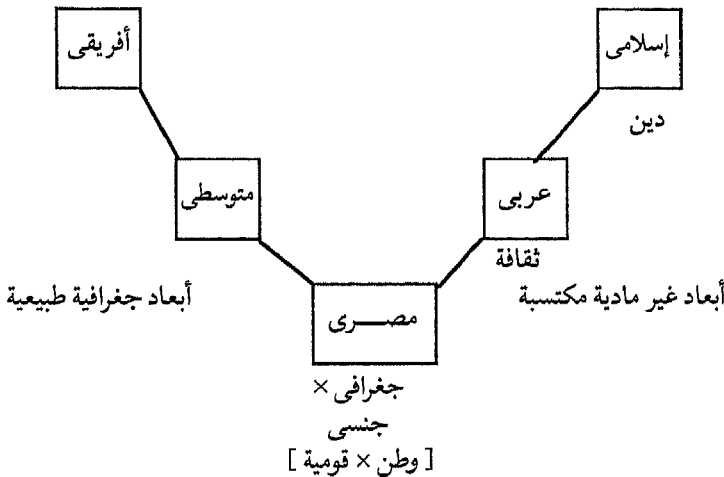
* عنصريا ، الطبقة الوسطى (اجتماعيًا) هى المضطهدة من أعلى ومن أسفل على السواء . فالغرب يحارب ويطارد العرب وأبناء الشرق الأوسط ولا

يمس السود الأفريقيين . . إلخ وقد بما أباد الأوربيون الهنود الحمر «وهم أرقى جنسيا من السود بكثير» . ثم جلبوا ملايين الأفريقيين السود إلى القارة بدلا منهم :

* الله أعلم حيث يضع رسالته — هذا هو «الحتم الإلهي» . وهو الحتم الوحيد الصحيح والمطبق .

لكن الحتم الإلهي = الحتم الجغرافي + الحتم التاريخي .
* الغريب أن كل شيء في مصر القديمة يبدأ لأول مرة ، ولكنه لا يلبث أن يتقوقع ويستتقع ويصبح محليا لا عالميا .
الزراعة والحضارة طبعاً .

لكن حتى السفن ! أول من اخترع السفن والملاحة هي مصر على النيل + البردى . ولكن لأن أخشاب مصر لا تصلح للبحار العالية اقتضت ملاحتها «حتى بعد ومع أرز لبنان» على النيل ومصر وهكذا اخترعت مصر الملاحة ، ولكنها لم تنزل إلى البحر والملاحة البحرية البعيدة المدى .



أن تكون مصر يا فهذا يعنى فى الواقع شيئين فى وقت واحد : الأرض والشعب ، الوطن والقومية فالمصرية للمصرى هى قاعدة الأساس ، وقاعدة الارتكاز وهى قاعدة مركبة لا بسيطة من عنصرين لا عنصر واحد .
هذه القاعدة الأساسية لها أبعاد خارجية أو أبعد آفاقاً وآفاقاً وأكثر اتساعاً ولكنها بالضرورة أقل كثافة وأساسية أى أكثر ثانوية هذه الأبعاد ليست مجموعة شتى ومختلطة ، ولكن هذا الخلط هو سبب عدم وضوح الرؤية والاختلاف فى الرؤية حيث لا ينبغى خلط أو اختلاف . فهذه الأبعاد ليست متجانسة وليست من نوع أو طبيعة واحدة ، فهى مجموعتان أو حزمتان : أبعاد جغرافية طبيعية بحته أى إقليمية من صنع المكان والطبيعة ، أبعاد مكانية باختصار ؛ ثم أبعاد بشرية .

من المتغيرات الخطرة التى تضرب فى صميم الوجود المصرى ليس فقط من حيث المكانة ولكن المكان ذاته ما يلي :

(أ) أصبحت أرض مصر معرضة للتآكل الجغرافى لأول مرة فى التاريخ كله وإلى الأبد إذ تحولت من عالم متناه بالطبع والطبيعة والجغرافيا إلى عالم متآكل بفعل الإنسان فأولا السد العالى أوقف نمو أرض مصر أفقياً ورأسياً . وعرضها للتآكل البحرى والصحراوى .

(ب) أصبحت أرض مصر «أرضاً مغلقة» بيولوجياً بلا صرف بل مصرف . وبالتالي لا تتحدد مياهها وتربتها ، كما لم يعد تحدد أرضها وتربتها ، من ثم أصبحت بيئة تلوث نموذجية ويقدر ما هى بللورة مركزة طبيعياً ، ستصبح بللورة تلوث مكثفة حتى الموت البيولوجى .

(ج) لأول مرة ظهر لمصر منافسون ومطالبون ومدعون هيدرولوجيا . كانت مصر سيدة النيل ، بل مالكة النيل الوحيدة - الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد ، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبة ورصيدها المائى محدود وثابت

وغير قابل للزيادة، إن لم يكن للنقص، والمستقبل أسود. ولت أيام الغرق وبدأت أيام الشرق وعرفت الجفاف لا كحظر راجع ولكن دائم. «الجفاف المستديم» بعد «الرى المستديم»!

(ء) فى الوقت نفسه بلغ سكان مصر الذروة غير المتصورة قط، وهكذا بينما القاعدة الأرضية والمائية انكماش أو ثبات أو انقراض، وصل الطفح السكانى إلى مداه. ولم يبق سوى المجاعة وبقي عامل السكان الذى تعدى إمكانات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وأكلا لها، فهو لا يتجاوز إمكانات الأرض فحسب، وإنما تقلصها بقدر ما يتوسع إسكانا فى المدن والقرى والطرق إلخ حتى سيأتى اليوم الذى تطرد فيه الزراعة تماما من أرض مصر، لتصبح كلها مكان سكن، دون مكان عمل أى دون عمل، أى دون زراعة، أى دون حياة أى موت! لتتحول فى النهاية من مكان سكن على مستوى الوطن إلى مقبرة بحجم دولة.

(هـ) مع كل هذه الانكماشات والانزلاقات الداخلية والذاتية، أنت الكوارث الخارجة لا فرادى ولا بالمشنى ولكن بالجمع والجملة.

* إسرائيل .

* بتروى العرب .

* الانقلاب الكونى العالمى فى الحضارة والتكنولوجيا والهيمنة الأمريكية وسقوط السوفييت إلخ هذا وحده عصف بكل ما تبقى من مكانة مصر، بعد أن تأكل المكان من العوامل الداخلية :
المتغيرات الداخلة تخرب المكان .
المتغيرات الخارجة تخرب المكان .



مصر تختلف عن كل بلاد العالم من حيث مشكلة تلوث البيئة .

فهى أول بيئة زراعية فى التاريخ غالبًا .
وهى الآن أول بيئة مرشحة للإنقراض والاختفاء فى التاريخ أيضا .
نعم ، حسم مصر كله مهدد بالانقراض الكلى لماذا؟ لأن مصر «عالم
متناه» غير قابل للنمو أو الزيادة أو للتمدد تقريبا .
والآن يتعرض لأكبر عملية تلويث كيماويا + تآكل ميكانيكيا ، بحيث قد
يأتى اليوم الذى تصبح فيه بيئة غير صالحة بتاتا لاستمرار حياة الإنسان .
وعندئذ ينقرض السكان والإنسان بعد انقراض الأرض والبيئة !



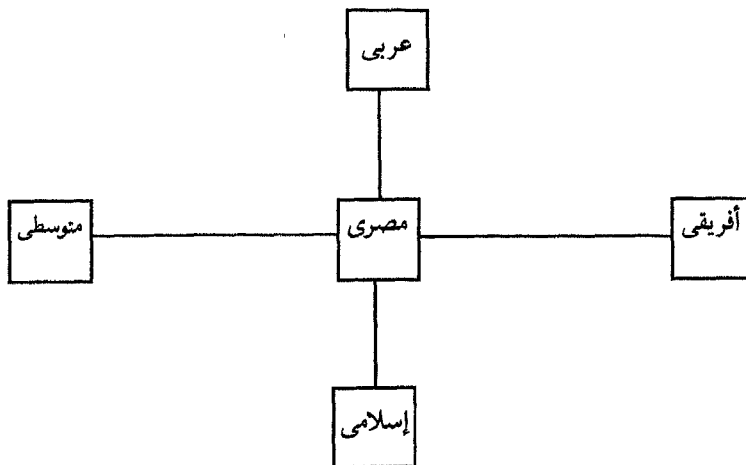
حضارة مصر الفرعونية «حضارة بيئية» بكل معنى الكلمة ، بمعنى أنها
تعبر عن البيئة الطبيعية وتعتمد عليها وتعيش فى كنفها بشكل حميم للغاية ،
فهى Symbiosis لا مثيل له .



مصر هى النموذج الأول prototype blue Print لإثنولوجية وانثروبولوجية
الشعب والدولة والتركيب الجنسى للدولة القادمة فى العالم أجمع .
بدأت مصر القديمة دولة مكونة من عناصر جنسية مختلفة ولكن متقاربة
ثم انصهرت فى بوتقة فكانت شعبا متعدد الألوان يجمع بين البيض والسمر
بدرجة مختلفة .



فى أبعاد وتشخيص الشخصية المصرية السابقة يضاف الآتى :
الأبعاد الجغرافية هى أبعاد أفقية .
الأبعاد البشرية هى أبعاد رأسية .
وعليه يمكن تعديل الرسم إلى الشكل الآتى :



كما أن مصر تركت أطرافها وأركانها القصية مهمة عبر التاريخ، فملأتها أقليات من الشعوب المجاورة، فالغريب أن هذا ينطبق على العالم العربى ككل، فقد طغت الأقليات المجاورة على أطراف الدولة فى المشرق حتى (الخليج ومن العراق وسوريا) كما فى المغرب (الزنوج) .

الفروق الأساسية بين أقطاب الشرق الأوسط الثلاثة:

مصر: أقدم الامبراطوريات وأقواها ولكن بعد السبق فقدت باستمرار . فى أوجها لم تسيطر على إيران أو تركيا . وبالكاد تعادلت مع الحيشين .

تلتها إيران «فارس» بامبراطورية لاتقل ضخامة وخطرا، وللأسف سيطرت على مصر واستعمرتها فى العصور القديمة أما فى العصور الحديثة فحين كانت مصر مستعمرة عثمانية، كانت إيران فارس امبراطورية كبرى تناوئ تركيا وتقاوم روسيا .

أخيراً تلت تركيا، ولم تلبث أن أصبحت نذا لإيران ثم تفوقت عليها

وحجّمتها، بينما سيطرت على مصر ٤ قرون وقهرتها وأذلّتها؛ دون أن يسبق لمصر قهرها أو اسنعمارها رغم نصر عسكري عابر يوما ما «إبراهيم باشا»، فلا شك أن سيطرة تركيا على مصر وسيادتها عليها لا تقارن قط برد مصر المحدود.

فمصر إذن عينها مكسورة من تركيا أساسا «لأن سيادتها أقرب تاريخيًا ولا زالت في الأذهان» وعقدة مصر ومركب نقصها من ناحية تركيا واضح، والتقارب بين مصر اليوم وتركيا هو نفاق متبادل لا يخفى كراهية مصر ولا استعلاء وغطرسة تركيا.



ببساطة إن مصر أقدم وأعرق دولة في الجغرافيا السياسية للعالم، غير قابلة للقسمة على اثنين أو أكثر مهما كانت قوة الضغط والحرارة مصر هي «قدس أقداس» السياسة العالمية والجغرافيا السياسية، ومن المتصور تماما وإن بدرجات متفاوتة أن تنكش أو تنقسم كل دول العالم بلا استثناء إلا مصر! لماذا مرة أخرى؟ لأن مصر السياسية هي ببساطة من خلق الجغرافيا الطبيعية لا التاريخ ولا السياسية ولا الصدفة ولا القوة إنها نبت طبيعي بحث.



يقول البعض للأقباط، إننا شركاء حضارة واحدة هي الإسلام، وإننا نختلف ديناً ولكن نشترك في الحضارة وحضارة القبطى هي الحضارة الإسلامية.

حسناً، ما المقصود بالحضارة الإسلامية؟ إذا كان الماضى، فذلك صحيح، أى إننا شركاء فى التراث.

ولكن إذا كان المقصود الآن والعصر الحديث فأين هي الحضارة

الإسلامية؟ إن كل حياتنا المادية هي الحضارة الغربية ١٠٠٪. هل مجرد المساجد والجوامع تجعلنا حضارة إسلامية؟ كلا، إن الموجود الآن ليس حضارة إسلامية ولكن ثقافة إسلامية، وجزئية عند ذلك هي اللغة طبعاً والدين + التلمذة الثقافية للغرب.

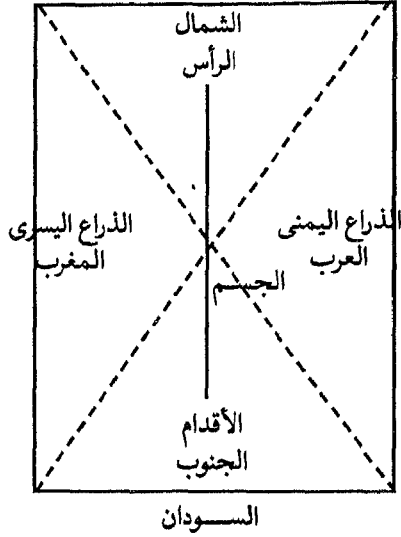
إذن نحن والأقباط شركاء - بعد الوطن والتاريخ والحضارة الإسلامية قديماً - شركاء الآن في الثقافة نصف الغربية نصف العربية الإسلامية، وذلك بصرف النظر عن عناصر الوحدة الدينية البحتة بين الإسلام والمسيحية، فضلاً عن وحدة العنصر والأصل. . إلخ إنهم أقرب المسيحيين في العالم إلى الإسلام بمعنى ما أو آخر. وفي هذا تفرد الأقلية القبطية لتضاف إلى عناصر تفرد مصر بعامه. وكما أن مصر «فلتة» جغرافية، فإن الأقباط «فلتة» طائفية.

في كتابه «المشرق المسيحي قبل الإسلام» يقول الدكتور إدمون رباط إن المسيحيين اليعاقبة (وهم طائفة المسيحيين الغالبة آنثذ) كان عددهم في مصر ٦ ملايين + ٢٠٠ ألف مسيحي خلقدونى معظمهم من الروم واليونان في مدينة الإسكندرية وحولها.

وفي مجزرة بيزنطية واحدة قتلت الدولة البيزنطية في مصر ٢٠٠ ألف قبطي من أنصار الطبيعة الواحدة ويقول المطران الأرثوذكسى جورج خضر إن الغالبية العظمى من سكان سوريا الطبيعية ظلت تنتمى إلى المسيحية طوال ٥ قرون بعد الحروب الصليبية وكانت نسبتهم (أى المسيحيين) ٨٠٪ من السكان قبل الحروب الصليبية.



الرأس ○ تركيا
الرقبة ||| الشام



الجهات الأصلية في مربع علاقات مصر الخارجة وأبعادها المتعددة.

المؤثرات الجنسية الثانوية التي اتضحت في سكان مصر هي بمثابة الرأس من الشمال (تركيا وحولها) والشام (الرقبة) أما الذراعان فالمشرق العربى والجزيرة ثم المغرب أما القدمان فالسودان وحوله والمؤثرات الثانوية من الجهات الأربع الفرعية :



مصر وسط بين : أوروبا الغربية وآسيا الموسمية ، بين غرب آسيا وجنوب

أوروبا ، بين الهند وإيطاليا ، من الناحية الجنسية الانثروبولوجية .
خلال العصر العربي ، ومن واقع كتب الحوليات ، عدَّ البعض زلازل
مصر بنحو ٥٠ زلزالاً .
الغريب أن هذا نفس عدد الفيضانات الخطرة والمجاعات التي وجدت
خلال نفس العصر !
مصر ، زلزالياً ، ليست « ذات النطاقين » وإنما هي « بين النطاقين » أو قل
هي شكلاً « ذات النطاقين » وموضوعاً هي ما بين النطاقين .



أكبر كتلة منفردة من الإسلام على الأرض هي مصر ، تليها جاوة - فمصر
قد لا تكون أكبر جزيرة بشرية منفردة في العالم سكانياً ، ولكنها كذلك
إسلامياً .



انقذوا مصر من القاهرة، والقاهرة من نفسها !
كل طوبة توضع في القاهرة ، هي جريمة في حق مصر كلها وأولها القاهرة
نفسها .
كل كوبرى يبنى داخل القاهرة ، هو كوبرى مسروق من مدينة أو قناة أو
منطقة أخرى في مصر .
الصعيد قاع مصر اليوم ، اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً وطائفاً . . إلخ قد
يبدأ انفجار مصر من الصعيد .



المشروع القومي ليس إلا بناء مصر ، مصر القوية الكريمة . أى العمل ،

الإنتاج، المادى والسلعى مع إعادة توزيع العائد بعدالة «الدولة العصرية»
هى المشروع القومى والمشروع القومى تسمية جديدة فقط للدولة العصرية .

حين نقول مصر القوية ، فنحن نقصد مصر القوية العزيزة الكريمة ، فى
الخارج والداخل والقوة وحدها على خطورتها لا تكفى ، فالصوت فى
الغناء ، لا تكفيه - القوة بل لا بد من ثنائى القوة الجمال . مصر القوة
والجمال - هذا ما نريد - القوة هى التحرر الوطنى والسيادة الوطنية والعزة
القومية ونفى التبعية والاستعمار والصهيونية وإسرائيل : أما الجمال فهو عزة
الإنسان المصرى فى دولته القوية : العدالة ، المساواة ، إعادة توزيع الملكية
والدخل .



هكذا مصر تأخذ وتعطى تؤصل وتوصل . الجغرافيا قديمة جدا من أقدم
العلوم ولكنها كلما تغيرت كلما كانت نفس الشىء تماما كمصر .





مذكرات في
الجغرافيا السياسية

٢ | الفصل الثاني الجغرافيا والجغرافيون

الفصل الثاني

٢

الجغرافيا والجغرافيون

الجغرافيا والجغرافيون

العلم الحائر !

لم يعد أدنى شك أن الجغرافيا تزداد حيرتها في العالم كل يوم أكثر وأكثر، في عصر العلم والتكنولوجيا والمعلوماتية والليزر والأقمار الصناعية . . إلخ . كل هذه تلقى على الجغرافى أعباء جديدة رهيبية ، وهو الذى ناء وركع تحت وطأة وثقل أعبائه السابقة ! ما العمل ؟ كيف ينهض ، كيف يزحف كيف يمشى ، كيف يركض ، كيف يقفز ؟

لابد أن يخوض الجغرافى الإلمام بكل التكنيك العلمى الجديد ، يأخذ عنه فكرة واضحة ، لا ليتحول إلى متخصص فيه ، بل مجرد متلصص عليه . . ولكن فى نفس الوقت فإن هذا يؤكد أكثر من أى وقت مضى وللمرة الألف بعد المليون أن الجغرافيا فلسفة المكان ، فلسفة الأرض ، فلسفة

العالم ، فلسفة الكرة الأرضية لا أكثر ولا أقل - لاستحالة أن تكون غير ذلك .
نحن ندعو إلى الحد الأقصى من العلم والعلمية فى الجغرافيا لتواكب عصر
العلم والتكنولوجيا الفائقة ، وفى الوقت نفسه إلى قلب الجغرافيا وموطنها
النهائى وهو فلسفة المكان - الحد الأقصى من العلمية مع الحد الأقصى من
الفلسفية ، وتحقيق ومواءمة هذه الثنائية هى جوهر «فن» الجغرافيا .



كل يوم يزداد العالم تقلصا وانكماشاً بتقاربه وتلاصقه وتوحده - القرية
الكوكبية أو الكوكب - القرية ، ولكن حجمه وعبئه على الجغرافى يزداد فداحة
وضخامة .

ميزة وقوة الجغرافيا ، سر المهنة وسر القوة ، هو أنها تعتمد على التقسيم
المكاني ، فالتقسيم المكاني هو «تصنيف فى المكان» بلاطات وقوالب
وألواح وشقافات (= أقاليم وأشباه أقاليم من مختلف الدرجات
والمساحات) تقسم إليها الظاهرة المعطاة أو المدروسة والتي قد تكون عائمة
هلامية سايحة فتصبح محددة ، واضحة الحدود ، واضحة فى الذهن ، أى
تصبح علمية (+ فنية) .

أى قولبة الهلامى ، بعد وبدل هلامية التكوين .



الجغرافيا = عملية + توزيع .

عبارة جديدة الجغرافيا = ميكانيزم + صورة .

الآن الجغرافيا هى التى تقدم الصورة للمتعلم والمثقف أكثر من
الميكانيزم الذى هو ألصق بالعلوم الأولية من هنا كان للجغرافيا ميزة حاسمة
على علوم كثيرة كالنبات والحيوان والجيولوجيا والميتورولوجيا فهى وحدها
التي تقدمها للطالب الثانوى ثم للجامعى غير المتخصص . نحن أفضل

موصول جيد للعلوم الأولية إلى غير المتخصص، سواء مبتدئ أو ناضج .
كذلك ، لما كان الميكانيزم فى العلوم الاجتماعية كالاجتماع والسياسة
إلخ ثانوى الدور وأقرب إلى الحدس والعقل الفطرى ، فإن الجغرافيا تكاد
تحتكر الصورة + الميكانيزم فى حالتها ، تعكس العلوم الطبيعية الذى يظل
الميكانيزم فيها خطيرا جدا بالطبع وغاية فى ذاته .



قد لا تكون الجغرافيا قمة العلوم ، ولكنها بالتأكيد قمة الثقافة . الجغرافيا
هى أعلى مراحل الثقافة ، وهى علم الثقافة الأساسى بدونها أنت غير مثقف
مهما فعلت ، وبها أنت مثقف مهما قصّرت .

لن تكتب فى الثقافة العامة جغرافيا بحتة أو صرفة ! كلا ، ستكون ثقافة
عامة مشبعة أو مشعشة أو مدعمة بالجغرافيا ، تركز على الجغرافيا ولكنها
لا تركز عليها . الجغرافيا فيها أساسى ولكن ليس الصرح بالضرورة الجغرافيا
فيها جزء لا كل باختصار وعندئذ عليك أن تخضع الجغرافيا للثقافة بينما فى
العلم البحث تخضع الثقافة للجغرافيا .

كما أن الأسلوب الروائى الدميم ليس شرطا للكتابة العلمية ، فإن
الأسلوب الجميل ليس حكرا على الأدب والكتابة الأدبية ، وليس كل كتابة
جميلة الأسلوب أدبية أو من الأدب فى شىء بالضرورة .



لا ينبغى للجغرافى أن يشعر بمركب نقص إزاء العلوم الأخرى التى يأخذ
منها ، ولكنه أيضا لا ينبغى أن يكون لنفسه مركب عظمة إزاءها فالتوازن
النفسى مطلوب كالعلمى .

الجغرافيا هى التسمية المقترحة لـ *geohistoire* على غرار
الجغراسيا .

إذا كانت العلوم اثنتين : مفيدة ومنوَّرة ، فإن الجغرافيا إن تكن أكثر العلوم المنورة بلا نزاع ، فإنها ليست بالضرورة أقل العلوم المفيدة إفادة . فهي قد لا تقل فائدة عن الاقتصاد ، وبالتأكيد عن الاجتماع أو علم النفس التطبيقي إلخ .

وبالصفة الأولى ، فإن الجغرافيا هي قمة علوم الثقافة وعلم الثقافة الأول مثلما سيدة العلوم الاجتماعية غير منازعة وبالصفة الثانية فإنها لا تقل مكانة وجدوى عن العلوم الطبيعية .

[الجدوى العلمية نقصد بها مدى فائدة أى علم للحياة العملية والإنتاج المادى] .



الجغرافيا علم خالد من الأزل إلى الأبد وخالد لأنه حتمى لا مفر منه ولا بديل عنه .

أزاح الأعلام العلم عن الصدارة ، وأصبح العلماء هم برونشارية العالم الجديد الذى خلقوه بعلمهم وتكنولوجياهم .



أمريكا الشمالية من الناحية الجغرافية الضيقة وأقاليم هيريرسن تساوى أوراسيا (أوربا + آسيا) مضغوطة وعلى تصغير، ومع استبعاد قلب أوراسيا القارى جدا . وأقاليم شرق القارة فى الحالتين واحدة ، وكذلك أقاليم غرب القارات ، بل وأيضا أقاليم وسط القارات وخطوط النص متقاربة ، والاشتراك فى الأقاليم الطبيعية واضح حتى الإقليم الصينى فى فلوريدا وحولها ، وأقليم المتوسط فى كاليفورنيا . وكما تنتهى أوربا عند البحر المتوسط تنتهى أمريكا عند الكاريبى ولكن يمكن اعتبار أن الهند الموسمية يقابلها مثلث المكسيك

وإن بتخفيف نسبي ، كما أن جزر الهند الغربية المدارية شبه الاستوائية تقابل جزر الهند الشرقية وإندونيسيا المدارية الاستوائية .

من ناحية أخرى ، أفريقيا جنوب الصحراء تساوى وتناظر تماما أمريكا الجنوبية ابتداء من بنما . فالأقاليم الصينية مشتركة ومتناظرة وحتى الشكل المثلثي متقارب ورغم الكوردييرا في أمريكا الجنوبية (كما في الشمالية) والتشابه واضح .

ترتب على هذا أننا لو حذفنا الصحراء الكبرى من أفريقيا ولحمتها بأوروبا في كتلة واحدة ، لأصبحت مشابهة ومناطقها تماما لكتلة الأمريكتين تقريبا لاسيما إذا حذفنا أمريكا الوسطى من الأخيرة أى أن :

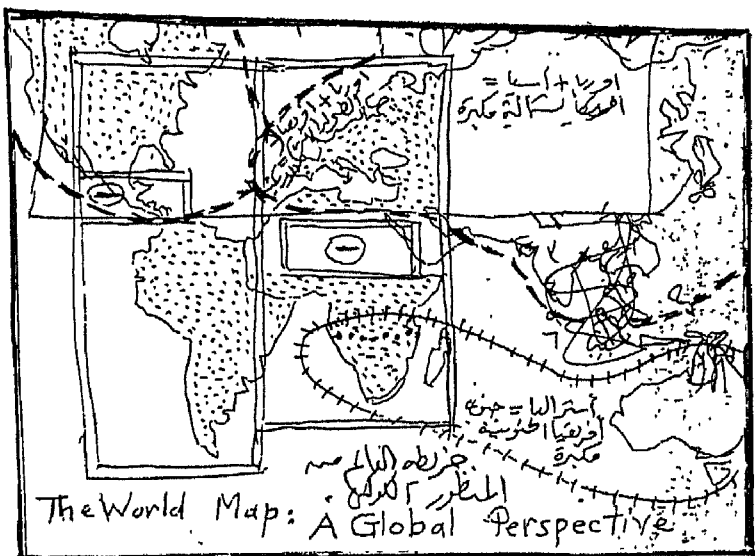
أوروبا + أفريقيا (ـ الصحراء الكبرى) = الأمريكتين (ـ أمريكا الوسطى) .

لا يبقى سوق استراليا خارج هذا المنظور الكوكبي لخريطة العالم . ولكنها أقرب شيء إلى جنوب أفريقيا حوالى مدار الجدى على تكبير (كلهاى هى صحراء استراليا مصغرة جدا) منها إلى أمريكا الجنوبية .

«خريطة العالم من منظور كوكبي» .

The World Map: A Global Perspective .





« خريطة العالم من منظور كوكبي »

الأطلس هو كتاب الجغرافيا الأول (والأخير؟) فهو منبع ومصب الجغرافيا جميعا .

من هنا كانت الخريطة هي شفرة الجغرافيا ومفرداتها إنها لغة الجغرافيا بامتياز، الخريطة هي اللغة الجغرافية الأساسية . وهي لغة عالمية غير مكتوبة وإنما مرسومة أو قل إن أبجديتها رسوم وإذا كانت الخريطة هي كلمة الجغرافيا ، فإن الأطلس قاموسها .

والجغرافيا هي علم المكان **place Science** .

نقطة ضعف الجغرافيا القاتلة هي أنها يمكن الحياة بدونها . لن تتوقف الحياة أو تموت البشرية أو ينتهى التاريخ إذا لم تعرف جغرافيا !

هذا هو المقتل وهو جزء من مقتل الثقافة عامة فأنت لن تقوم القيامة إذا لم تكن مثقفا ! بل ربما أرجح كنت أسعد وأنجح . [وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم !] .

ذو الجغرافيا يشقى فى النعيم بعلمه ، إلخ إلخ

الجغرافيا هي كل ما ترى العين خارج البيت أو الجدران **out of doors** كل ما نراه خارج البيت أى فى الطبيعة أو فى البيئة أو فى الشارع (أى خارج البيت) هو جغرافيا (بحتة !) فكل إنسان ، جغرافى أو غير جغرافى ، يرى الجغرافيا حيثما كان وأيضا تحرك ، بل إنه إنما يتحرك « فيها » ولا مهرب له منها البتة « حيثما تكونوا تدرككم الجغرافيا حتى ولو لم تدركوها أنتم ! » وكل إنسان على الأرض له خبرة ومعرفة بالجغرافيا سواء أدرك هذا أم لم يدرك . فالجغرافيا علم بصرى ابتداء إن لم نقل أساسا ، والأعمى وحده للأسف هو الذى يقع خارج الجغرافيا ، لا يراها ولا يعرفها أى يدركها وإن هى أدركته طبعاً وحتماً . هذا يعيد تأكيد أهمية مدرسة اللاندسكيپ فى الجغرافيا . إنها

ليست نافلة أو بدعة ، بل ضرورة وجود .



ليس هناك إقليم واحد فى المنطقة ؛ هناك أقاليم عديدة فى الإقليم الواحد نفسه ، عدة أقاليم بعدد فصول السنة أو تغيرات الطقس الدورية .



ليس المطلوب فى الجغرافيا الآن اللوغاريتمات والمعادلات إلخ ، ليس المطلوب العلمية بهذا المعنى الدقيق الصارم ، إنما المطلوب «الجمالية» الجغرافيا الجميلة ، الجغرافيا كعلم جميل وهذا «فن» .

وهذا يتسق مع مطلبنا من إلغاء العمل الميدانى بمعناه الحالى ، وتحويله قصره على الرؤية اللاندرسكابية والفكر المكانى إلخ .

لماذا؟ لسببين قاتلين : أولاً ، استحالة وجود أى تربية الجغرافى الذى يجيد تماماً كل الطرق والوسائل المعملية لكل العلوم الطبيعية والاجتماعية ، كالإنشروبولوجيا والتشريح ، والجيولوجيا وتحليل الصخور والتربة وقياس المناخ الحديث (كله فضائيات الآن!) .

حتى التخصص فى فرع واحد كالجيولوجيا أو الاقتصاد يستدعى معرفة كاملة بكل تكنيك الجيولوجيا والعلوم الطبيعية ، أى تكرر طالب الجيولوجيا أو كلية العلوم بالكامل فحتى هذا مستحيل ، ولو فعلته لخرجت من الجغرافيا ولم تعد جغرافيا .

ثانياً - لو فرضنا جدلاً الإحاطة الكاملة بتكنيك كل العلوم المعملية التى فى الدنيا ، فماذا يجدى هذا الجغرافيا نفسها؟ لن نضيف إليها هى جديداً !
لهذا نعود فنؤكد أن حقيقة الحقائق وقانون الجغرافيا الذى يعلو كل حقيقة

وقانون هو أن الجغرافيا هي الجغرفة! عملية تحويل ما ليس جغرافيا إلى ما هو جغرافى .

كل جغرافيا أصولية هي «تكثيف استراتيجى» للفهم الأول الموازى أو المقابل : الجغرافيا التاريخية تكثيف استراتيجى للتاريخ .

الجغرافيا السياسية تكثيف استراتيجى للسياسة .
الجغرافيا الاجتماعية تكثيف استراتيجى لعلم الاجتماع .
وهكذا إلى آخره .

لماذا تكثيف ، ولماذا استراتيجى ؟

التكثيف ، لأنه يأخذ ذلك العلم الأول فيعتصره اعتصارا ويختزله اختزالا ويكثفه إلى حد التضاضط الأقصى ، حتى لتصبح الجغرافيا الأصولية بمثابة «ما قل ودل» من العلم الأول الذى أطال فأقل ! .

الاستراتيجى ، لأن الجغرافيا تنتخب وتلتقط فى تكثيفها كل ما هو جوهرى وعميق وذال وفاعل فى العلم الأول ، الحدود دون تواتر والكيلات دون الجزئيات ، والعموميات دون التفاصيل ، اللب دون القشر العمق دون السطح . . إلخ .

إن الجغرافيا علم استراتيجى حيث العلوم الأولية علوم تكتيكية كما قد تقول .



تعريف الجغرافيا هو جوهر فلسفة الجغرافيا ، بغير التعريف الجامع المانع الواضح القاطع تستحيل الجغرافيا لماذا؟ لأنها علم انتقائى ، انتخابى ، الحقائق والمعلومات التى تدخله هي اختيار واستبعاد . فعلى أى

أساس نختار ونستبعد، إلا على أساس تعريف منهجي حاسم؟
لذا فإن فلسفة الجغرافيا هي أساس علم الجغرافيا. لا جغرافية بلا فلسفة
المادة، فلسفة الجغرافيا.

لا جغرافي بغير فلسفة الجغرافيا.
ولا جغرافي ممتاز بغير الجغرافيا الفلسفية.

الجغرافي الكامل :

أنت إما جغرافي مؤبد، جغرافي مدى الحياة، من المهد إلى اللحد،
وأما أنت لا جغرافي على الإطلاق، لا وسط بين الجغرافي المطلق،
واللاجغرافي على الإطلاق.

فالجغرافيا لا تقبل شريكا قط، لا في العلم ولا في الحياة. أنت محكوم
عليك بالجغرافيا إلى الأبد، وإلا خرجت من حوزة الجغرافيا.

بمعنى لن تكون شيئا مذكورا في الجغرافيا، إن لم تتفرغ لها تماما العمر
كله. وليس في الجغرافيا شيء كفترة انقطاع تتركها إلى حرفة أو مهنة أخرى
ثم تعود إليها، كلا، إنها نقطة اللا عودة، وليس هناك **Making a come backe**.

الجغرافيا علم استقراء بلا قياس. كل بقعة عليك أن تعرفها بالذات أو
لن تعرفها قط لا مكان يمكن أن يكون بديلا عن مكان آخر ولا إقليم عن
آخر - فمعرفتك بكاليفورنيا جدا لا تغنيك عن معرفة حوض البحر المتوسط،
ولا هذا عن حوض النيل.

برودل : - geo psychology - geohistoize - Geohistory = نظرية الأفرقة
والطوال القومية إلخ.

geosociologie = الجغرافيا الاجتماعية .

وتعريف الجغرافيا بأنها «علم» هو تعريف ناقص ، «والجغرافيا العلمية» لا تجعل من الجغرافيا إلا «سندريلا العلوم» كما قيل . ما لم تكن الجغرافيا علما + فنا + فلسفة ، فإنها لا يمكن أن تضيف جديدا ولا أن تؤمن استقلالها وسيادتها العلمية .

والجغرافى بهذا أيضا هو «حاوى العلوم» ليس فقط بمعنى «خزنة أو حافظة» العلوم جميعا وعموماً ، ولكن أيضا وبلا خجل بمعنى الحاوى الساحر أو الشاطر الذى يتلاعب بالأوراق فيخرج منها ما ليس فيها . وإذا كان فيتمان وغيره يدعون علنا إلى السرقة (الشرقة) من العلوم الأخرى ، فإن الجغرافى بهذا ليس فقط «اللس الشريف» ولكن أيضا «الحاوى الشاطر» والساحر الذكى . .

الجغرافى الكبير المفكر المخطط الموجه ، لا ينبغى أن يتعالى على أو يزدرى مدرس الجغرافيا البسيط ثانوى أو أقل — لماذا؟ أولا لأنه تلميذه أصلا ، ثانيا لأنه وحده هو الأداة التنفيذية ، الجهاز التنفيذى أى أدواته التنفيذية المباشرة والمتاحة .

ومع تهمة الموسوعية ، سواء صح أو لم يصح أن الجغرافى أغزر العلماء كتابة ، فالحقيقة الأهم والأقطع هو أنه أكثر العلماء قراءة . الجغرافى أكبر قارئ فى الدنيا . لماذا؟ لأنه لكى يكتب صفحة يقرأ ١٠ صفحات حتما وبالضرورة ؛ إنها قمة التكليف ، لأنها قمة التكثيف .

وحتى الخريطة الجيولوجية ، ينبغى على الجغرافى أن يجلفها تماما ، ولا يأخذها كما هى من صاحبها الجيولوجى ، لأنها تخدم أغراضه المختلفة قليلا أو كثيرا عن الجغرافى .

مثلا - خريطة مصر الجيولوجية ، التى نقلها الجميع عن بول خبط لزق .



لا يكون الجغرافى جغرافيًا إلا إذا كان فيلسوفا - نظرية .

لا يكون الجغرافى جغرافيا إلا إذا كان حمار شغل - نظرية أخرى .

النظريتان ليستا متعارضتين ، بل متكاملتان .

بالمثل النظرتان : نظرة الطائر المحلق .

نظرة الدودة المكددة .

التلسكوب + الميكروسكوب .

الماكرو + الميكرو . . إلخ .



لا علم بلا جامعة ! محال تماما أن يعمل عالم ممتاز بالعلم خارج جامعة (أو مؤسسة شبه جامعية كأكاديمية أو مركز بحوث إلخ) .

المهم ، لا بد للعلم من جامعة ما .

ولكن ، للأسف ، بمجرد أن يدخل العلم الجامعة يتحول إلى وظيفة ، والعلم إلى موظف . أستاذ الجامعة ليس إلا موظف علم !

وبهذا يتحول العلم فجأة إلى تقليد وتقاليد - إلى علم تقليدى .

فالجغرافيا الجامعية الآن جغرافيا تقليدية صرف ، جامدة ، محنطة شكلية ، متخلفة ، «وشغل حمير» أساسا .

المثقف :

هو الإنسان الذى يتجاوز دائرة ذاته ، ليصل إلى المجتمع الأكبر كله ،

هو الإنسان القادر على أن يجعل مشاكل الآخرين هموما شخصية له . هو ضمير عصره سابق لعصره فى إدراك الخطر المستقبلى والحلم بالمستقبل ، هو برج مراقبة للعالم من حوله ، يرصد ، يحلل ، يتوقع يتنبأ ، يحذر ، يخطط ، لا يضيع فى التفاصيل وإن تابعها بكل تفصيل ، يحول الأشجار إلى نهاية ، والتكتيك إلى استراتيجية إنه مفكر استراتيجى كلى شمولى نبؤى . . . إلخ .

حسنا ، إذا كان هذا هو تعريف المثقف الشائع والأكثر شيوعا وقبولا ، فإن لم يكن هو تعريف الجغرافى فماذا يكون ؟
إن المثقف الجغرافى هو سيد المثقفين .

وسواء كانت الثقافة هى الأصالة أو المعاصرة والثقافة الجغرافية والجغرافيا الثقافية تضم الاثنين جميعا . فهناك التراث الجغرافى العربى الهائل ولا سدنة ولا خدم ولا حارس أو دارس إلا الجغرافى ، ثم هناك جغرافية اليوم وجغرافية الساعة وهى قمة المعاصرة .

كلا ، ليست قضية الجغرافيا أن تكون أو لا تكون إنما هى أن تكون فاعلة أو لا تكون ، فاعلة أو خاملة ، مؤثرة هامة أو غير ذلك .

وليست الجغرافيا «كشكول» العلوم ، ولا الجغرافى «مسجل» العلوم ، ليست الجغرافيا «سجل علوم» ولا الجغرافى هو «مسجل عموم العلوم» ، ليس مسجل توثيقى أو موثق علوم أو أرشيفى بدرجة عالم أو أستاذ كرسى الأرشيف العلمى العام .

الجغرافى الحق الذى جاء ليبقى وتُخلق ليخلق هو الذى يولد «حيوانا جغرافيا ، ويعيش «عبدا جغرافيا» ، ويموت «قتيل جغرافيا» ! .

مأساة الجغرافيا فى الحياة : العمليون يرونها عبثا لا داعى له ، والنظريون

يرونها عالة عليهم بلا داع! يا للضيعة الجغرافيا بين الرجل العملى والأكاديمى
النظرى!!

نعم، العالم يصبح قرية كبيرة أو صغيرة - ولكن حذار من هيستيريا
العالمية (لعبة أمريكا والغرب ضد الآخرين خصوصاً نحن) - المهم فى
الجغرافيا: لن يصبح العالم؛ كذلك «إقليماً» جغرافياً واحداً! قط، ستظل
الجغرافيا هى الجغرافيا والعالم هو العالم - وما عدا ذلك فسفسطة وفلسفة
مفلسة.

الوحدة الجغرافية تقول للعرب.

اعتصموا بحبل الجغرافيا جميعاً ولا تفرقوا [كذا].

وظيفة أو وظائف الجغرافيا المفتوحة هى ثلاث: التعليم، التخطيط،
الثقافة.

الأول يبيع العلم وإعادة توزيع وتوصيل، أى أنك تتعلم الجغرافيا من
غيرك لتعلمها لغيرك - فلا جديد - وهذا هو السائد.

الجغرافيا علم اكتساب وتحصيل، وليس علم حدس أو تجريب. فأنت
إن لم تعرف نهر الكولورادو فلن تعرفه بالحدس أى التهويم وفى حين
تستطيع أن تعرف النفس المريضة أو الزكية أو الفلسفة من خبرة الحياة
والآخرين فحسب - تماماً كما سيعرفها علم النفس ولكن بدقة أكثر فقط.

الميثودولوجيا^(١) والمادة، لابد منها فى كل علم. ولكن لا تصل
الميثودولوجيا إلى قمة أهميتها وقيمتها فى أى علم كما تصل فى
الجغرافيا.

(١) معرفة هى فى الإنجليزية Methodology أى المنهجية أو علم المنهج (الناشر)

بدون الميثودولوجي، الجغرافيا تافهة ولا شيء وصاحبها تافه ولا شيء .
أخطر من الفكر الجغرافي، الفعل الجغرافي! *gog. et actin* ميشيل
فيليبوتو.

ومن تعاسة الجغرافي وقدر الجغرافيا أنها لا ترضى عن أحد من
الاحصائيين ولكن أحدا منهم لا يرضى عنها بدورها! لا يعجبها أحد، ولكنها
لا تعجب أحدا!

ومن ضيعة الجغرافيا: الفلاسفة ينظرون إليها كعلم، والعلماء ينظرون
إليها كفن، والفنانون ينظرون إليها كفلسفة!!
كل العلوم الاجتماعية، وخاصة الجغرافيا (والتاريخ) ما لم تكن مطعّمة،
بل مشبعة، بل حبل، بالفلسفة أى بالفكر، فإنها تفقد الكثير جدا من
قيمتها وجاذبيتها، من جدواها ومن بريقها.



مفيد جداً أن يوجد دائما الجغرافي المحترف التقليدي، المدرسي
(الجامعي) بكل عيوبه ومميزاته، إلى جانب الجغرافي غير التقليدي،
الثوري، المجدد، الهادم، هذا مصل مضاد لذلك، والعكس. المطلوب
دائما ثورة جغرافية، وهذا يعني توا ثورة على الجغرافيا وفي الجغرافيا من أجل
«جغرافيا ثورية».

ويبدو أن من الممكن نظريا وواقعا أن الجغرافيا التاريخ والدراسات
التاريخية تتقابل عند نقطة معنية يتوحدون فيها فى دائرة واحدة.
أليس مما له مغزاه، وأحيانا يدعو إلى السخرية أن بعض أعمال
الجغرافيين البشرية الإقليمية تتهم بأنها تاريخ، بينما أن بعض أعمال
المؤرخين توصف أو توصم بأنها جغرافيا وجغرافية (مثل بروديل)؟! .
أليس هذا دليلا على تداخل وتلاقى العلمين عند نقطة معينة. الواحد

يبدأ علم مكان ثم يتوغل فى الزمان ويتغلغل ، والآخر يبدأ علم زمان ثم يخوض فى المكان وينغرس ، حتى يصبح الاثنان وجهها لوجه على أرض واحدة فى لحظة ما؟

فعلا، المكان هو العنصر الأساسى الوحيد الذى يجمع الأشياء والظواهر المختلفة جدا ويؤلف بينها وقد يوحدھا . المكان، يعنى الجغرافيا .



كما يميزون فى دراسة الفلسفة بين فرعين تاريخ الفلسفة ، والنظريات الفلسفية ، رغم التداخل الأساسى الأسمى بينهما ، فكذلك فى الجغرافيا : هناك فرق ويجب أن تكون هناك تفرقة واضحة منهجيا بين تاريخ الجغرافيا ، وبين قضايا ومشاكل ونظريات الفكر الجغرافى والمنهج الجغرافى .

قد يعرف الجغرافيون ما يفعلون ، ما هم فاعلون ، (وإن لم يكن كلهم بالتأكيد - للأسف الشديد!) ولكن اللافت أن كثيرا من غير الجغرافيين من العلماء المختصين فى فروع العلوم الاجتماعية وحتى الطبيعية كثيرا ما يتساءلون فى صمت وفى قرارة أنفسهم عما يفعل بالضبط هؤلاء الجغرافيون! هم يرونهم على أفضل الأحوال مخلوقات علمية غريبة مثيرة للشك والريبة أكبر منها للاهتمام والأخذ بجدية .

هذا أمر معروف ووضع لا يجوز إنكاره أو تجاهله . وعلى الجغرافيا أن تعترف به وبمشروعيتها ، ثم عليها بالمقابل أن تتصدى له بالشرح والإقناع وإثبات الذات .

وربما لم تصف الجغرافيا إلى المعرفة الإنسانية حرفا واحدا جديدا تماما

من عندها ، ولكنها مع ذلك تقدم أفضل وخير وعاء وشكل لتقديم المعرفة الإنسانية للشخص العادى والمواطن العالمى ليس هناك غيرها ولا أفضل منها وعاء لتقديم خلاصة وجماع ما توصلت إليه سائر العلوم من طبيعية واجتماعية للمتعليم العادى والمثقف العام . مثلاً لن يصبح كل متعلم فى الدنيا متخصصاً فى النبات أو الحيوان ، فإذا لم يعرف شيئاً عن الغابة الصنوبرية أو غابة المطر أو الاستبس أو الكنجارو أو الرنة . . إلخ فى دراسته الجامعية تحت بند الجغرافيا ، فأين ومتى سيعرفها؟ قط لن يعرفها ، أى لن يعرف العالم ولا أى شىء عنه .

وعلى هذا فقس مع الجيولوجيا ، مع الاقتصاد ، مع السياسة ، الاجتماع ، التاريخ . . . إلخ .

إذن ، الجغرافيا هى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية ، أجود موصل ، بل الأوحده ، وهذا فضل ، لو تعلمون ، عظيم .
ولكن هل هذا هو كل فضل الجغرافيا ؟

كلا بيقين ، فهى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية كحد أدنى ، أى عند حدها الأدنى .

أما عند حدها الأعلى ، فالجغرافيا مؤصِّل جيد للمعرفة الإنسانية ، ولكن بمعنى خاص وهذه قصة أخرى .

ما الدنيا إلا مسرح جغرافى كبير !!

على سالم المؤلف المسرحى يقول (!) :

«ثبت أن الجغرافيا أقوى من التاريخ ، وهى التى صنعت الماضى وستحكم فى المستقبل» . ولا تعليق !

النزاعات الأكاديمية والغيرة المهنية من المؤرخين والجغرافيين موجودة دائماً (خاصة فى فرنسا لأن العلمين كانا يدرسان معاً دائماً) . وبعض

المؤرخين لا يخفى ازدهاره العلنى للجغرافيا . لايهم . المهم الآتى :

الجغرافيا أقوى من التاريخ - لا شك .

لماذا؟ لأن الجغرافيا تحكم وتصنع التاريخ .

ولكن التاريخ لا يحكم الجغرافيا ولا يصنعها !

وكعلم ربط بين العلوم ، الجغرافيا فعلا علم مفصلى ليس فقط بموقعها وسط العلوم الطبيعية والاجتماعية ، ولكن أيضا بربطها بين الظواهرات المختلفة فى المكان أفقيا «الإقليم» ورأسيا «الايكولوجي» مفصلى أفقيا ورأسيا .

مشكلة الجغرافيا هى مشكلة إنسانيتها . . هل هى «إنسانية» هل هى ممكنة إنسانيا .

Humanly Physicaly .

والجغرافيون بالضرورة تلاميذ كل المتخصصين الآخرين ابتداء من الجيولوجيا حتى التاريخ . ولكن ماذا بعد هذه التلمذة أليست إلا «الأستاذة» فبعد أن يأخذ الجغرافى عنهم ، يصبح فى النهاية قائدا وأستاذًا لهم .
الأدق والأصح ، مع ذلك أن يقال : لا يبدأ الجغرافى وهو بالضبط تلميذ للإخصائى ، كما لا ينتهى وهو أستاذ له تمام . وضع خاص فى الحاليتين .

- | | |
|---------------------|-------------------------|
| «الجغرافيا والحياة» | لا ثقافة بلا جغرافيا . |
| جغرافية الحياة | لا سياسة بلا جغرافيا . |
| الجغرافية الحيّة . | لا تاريخ بلا جغرافيا . |
| | لا عمران بلا جغرافيا . |
| | لا اقتصاد بلا جغرافيا . |



حتمية الجغرافيا : علم لا بد منه هذا هو الجغرافيا مهما حاولت ، فلن

تفلت من الجغرافيا ، ولن تبيد الجغرافيا . إنها ضرورة علم حتمية بحثة .
هذه الحتمية الجغرافية هي طبعاً غير الحتم الجغرافى المعهود إياه
(والمفتى عليه نسبياً أو نوعاً ما) ؟ فهى حتمية حميدة .
هل الجغرافيا كشكول العلوم (كشكول الجغرافيا) ، بستان العلوم (بستان
الجغرافيا) ! .

الجغرافيا فى عالم متغير :

هذه إحدى أهم مشكلات الجغرافيا المعاصرة وعليها أن تتصدى لها ،
وتحلها لكى تعيش «الجغرافيا أو الموت» أم الموت للجغرافيا «تسقط
الجغرافيا !» - «عاشت الجغرافيا» !



إن الجغرافيا حائرة تدور حول نفسها ، تبحث عن دور جديد أو قديم
محدد ، عن مكان لها تحت الشمس ، شمس العلم والعالم الجديد ، عن
توجه وتوجيه جديد مفيد .

واتجاه الجغرافيا إلى الثقافة العامة مطلب حيوى ، مسألة حياة أو موت
ولكن هذا وإن كان يعنى تبسيط العلم والعلوم ، والشعبية **Vulgarisation**
فإن الأمر ليس بهذه البساطة أو السهولة .

التبسيط لا يعنى التسطيح فضلاً عن التفاهة .

التبسيط ليس سهلاً ، ولكنه ليس بهذه السهولة أو البساطة .
ولكن الخطر الأكبر الذى يهدد التوجه الثقافى للجغرافيا هو أن تسقط
أداة ولوى للسلطة والحكم كالصحافة - النزاهة العلمية والاستقلال الفكرى
شرط الثقافة الجغرافية مثلها هي شرط العلم الجغرافى والجغرافيا
الأكاديمية .

الجغرافيا أساساً = عملية + توزيع

distribution + process .

شيء غريب فعلا وحقا. موقع الجغرافيا بين العلوم يكاد يشبه موقع مصر
بين البلاد !

فهى علم مفصلى يتوسط العلوم، كما أن مصر موقع مركزى مفصلى
وسط العالم الجغرافيا تأخذ من كل العلوم فتصطنع منها عصيرا وكائنا خاصا
ولهذا السبب، وبصرف النظر عن التطور التاريخى، كانت الجغرافيا تالية
ولاحقة للعلوم كعلم، سابقة لها كتعليم بمعنى أن الجغرافيا تبدأ كعلم بعد
وجود العلوم الأولية الأخرى، وبعد أن تتم وتوجد، تصبح هى المدخل
الطبيعى للتعليم، ثم تليها العلوم الأولية.

هل الجغرافى الجيد هو الملك ميداس أم نصف إله؟ هل الجغرافيا
والجغرافى هى «نمل العلوم» أم «نحل العلوم»؟ هذا يسرق وينقل الطعام
ويستهلكه خلسة من تحت أقدام الناس، وهذا يعمل بنشاط مذهل متحركا
آلاف المسافات ليجمع الرحيق ويقدمه للإنسان؟

هل هو وهى - هما - «دودة قطن» أم «دودة قز»؟ هذا مدمر وهذا معمر؟
ولماذا؟ حتى المؤرخون أصبح بعضهم ينظر إلينا باستخفاف واستغراب
وتأفف! حتى أنت يا بروتس!

حسنا، قد لا يليق أن نقول إن الجغرافيا تقف على كتفى العلوم الأخرى،
لأنها فى النهاية تعيش عليها وتأخذ منها، لكن بالمقابل لا يصح أن يقال إن
الجغرافيا تقع تحت أقدام العلوم الأخرى.

إنها ليست سيدة العلوم (بالتأكيد) لكنها ليست خادمتها كذلك، ولا
سندريلا ما أكثر. فما هى وما موقعها بالضبط؟ فكر!



لاحظ أن الصدفة التاريخية هى المقابل والنقيض للحتمية التاريخية.

بالمثل الحتم الجغرافى $\times$ الصدفة الجغرافية .
لا يتحول التاريخ إلى علم إلا بتخصيبه بالجغرافيا وبغير ذلك يظل كائنا
عقيما .

المدارس الجغرافية :

هى شبه حقيقية ، شبه تاريخية ، شبه جغرافية .
السؤال المحير والمخرج ولكن المحقق أو المحك فى الجغرافيا هو: هل
هذا جغرافيا؟ هل هذه جغرافيا؟ هل هذا جغرافى ؟
السؤال مشروع ووارد دائما . والجواب الصح هو هل هذا إقليمى أم لا؟
إن كان إقليميا ، فهو جغرافيا ، وإلا فلا .
والإقليم مركب لا عنصر .

هناك الإقليم الذى يعتمد على أرض وأمد محدد كالتربة أو المناخ أو
السكان . . إلخ هذا الإقليم إقليم عنصر، أو إقليمى أصول ، نسبة إلى
الجغرافيا الأصولية .

وهناك الإقليم الشامل بالمعنى الكامل أى الذى يضم كل عناصر
الجغرافيا الأصولية . هذا هو الإقليم الجغرافى الحق ، لنقل «الإقليم
الإقليمى» (على وزن النواة النووية - للتأكيد) أو الإقليم الجغرافى .

أو يمكن إن يميز بين الاثنين فتقول الإقليم التحليلى analytical والإقليم
التركيبى synthetic والجغرافيا أساسا علم تركيبى أو تخليقى Synthsis .

المدارس الجغرافية إذن مدارس وطنية أو قومية وهى بهذا أقرت شىء إلى
فكرة «الطوايع القومية» التى هى نسبية جدا جزئية أساسا ، وربما سطحية
نوعا .

إننا لا نرفض فكرة «المدارس» كلية ومن حيث المبدأ، ولكن نقبلها بتحفظات شديدة وتحديد صارمة كشيء أكثر من لا شيء ولكن ليس هو كل شيء.

«الجغرافى الكامل» بمعنى الشامل الذى يتخصص ويتبحر فى كل مجالات الجغرافيا وفروعها ودوائرها هو فكرة تجريدية بل خزائنه تماما. استحالة مطلقة. هناك نعم، الجغرافيا الكاملة لكن ليس هناك الجغرافى الكامل «الجغرافيا الكاملة» هى مجموع عشرات أو مئات من «الجغرافيين الجزئيين».

سواء لحسن الحظ أو لسوءه الفكر الجغرافى كان دائما وفى كل مراحل مرتبطا بمراحل الفكر العلمى والفلسفى والحياتى العام ومتأثرا به - أيام التطورية تأثر بها، مثلا راتزل والدولة وأيام البيئة والايكولوجيا تأثر وكان الحكم الجغرافى أيام الماركسية تأثر وكان التخطيط والإقليمية والآن البيئة والتلوث إلخ.

لا جديد، بالضبط تحت شمس الجغرافيا كل القضايا الرئيسية والمشكلات والأساسية والمحاور المحورية والأعمدة القرية والمجالات العريضة كل هذا له جذور وأصول قديمة بالغة القدم فى الجغرافيا، وعولجت ونوقشت منذ وقت مبكر جدًا فى بداية العلم ثم تكررت فى كل مراحلها، لكنها بالطبع تتطور وتتجدد، عمقا وعرضا واتساعا وأصالة وإضافة كالمدة والجزر، كالتهديط والترقيع، كالتسريع والإبطاء، كالبندول وحركته المستمرة المزممة. إذن جنين وجرثومة الجغرافيا كلها قديمة، مراحل جنينية وجراثيم يعنى.

مسألة وجود «مدارس» فى الجغرافيا، نقطة خطيرة جدًا تستحق التعمق

الجغرافيا علم أساسى لا فن أو قبل أن تكون فنا . موضوعية لا شخصية بالطبع معنى المدارس اتجاهات خاصة واهتمامات معينة وتكوين أو تلوين فكرى متميز .

ولكن من ناحية أخرى ، كل الاهتمامات الأساسية والخطوط العريضة مشتركة بين جميع «المدارس» بالضرورة . والمسألة فروق فردية فى الدرجة لا فى النوع ، فى التركيز لا فى التخصيص .

معقول أن توجد بين جغرافى البلد الواحد ، بسبب وحدة اللغة ولتركز القراءة فى إنتاجها ، قاسم مشترك ما (أصغر) بين أفرادها ، يخلق نوعا من الجو المشترك أو الطقس أو المناخ الاهتمامى والمعلوماتى . . . إلخ . ولكن دون أن يفصلهم ذلك عن العالم الخارجى «المدارس» الأخرى .



الجغرافى أحد اثنين : إما فيلسوف جغرافيا ، وإما حمار جغرافيا .
بالمثل المؤرخ ، إما فيلسوف تاريخ أو حمار تاريخ .
فعلا ، فالجغرافيا فى جوهرها هى «فكر فى المكان» .

المعلومة والفكرة (أو الحقيقة والرأى) هما قطبا المادة العلمية — خاصة فى الجغرافيا من المعلومة نستشرف ونستنبط فكرة جديدة لا تلبث بعد أن تستقر أن يصبح بدورها معلومة جديدة . بهذا يتم تراكم المادة ، وتتناسل المعلومات والأفكار على التعاقب والتبادل .



يجب على الجغرافى أن يضع نفسه داخل وخارج الإقليم فى آن واحد : داخله لكى يستنبطه ويسبر أعماقه ودخائله ، وخارجه لكى يراه رؤية كلية

شاملة وكذلك نظرة موضوعية بحثة مجردة .



للأسف كثير من الجغرافيا الجامعية هي مجرد «جغرافية أطفال» فحذار من جغرافية الأطفال؟ .

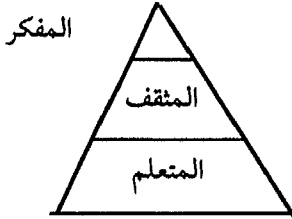


الفكر فى المكان - فى القصص والتطبيق يصبح «الفكر فى الطبيعة وعلى الطبيعة» فى المكتب والمكتبة يصبح هو «الفكر فى الخريطة وعلى الخريطة» .

من هو المفكر، وما الفكر؟ كثيرون يوصفون أو يعدون من المفكرين، وهم ليسوا كذلك فى الحقيقة، ولا حتى أنصاف مفكرين .

المفكرون الحقيقيون قلة وكل مفكر مثقف، ولكن ليس كل مثقف مفكراً، تماماً كما أن كل مثقف متعلم ولكن ليس كل متعلم مثقفاً .

الواقع أن هناك هريما من ثلاث طبقات :



القاعدة العريضة جدا : المتعلمون .

الطبقة الوسطى القليلة : المثقفون .

القمة العليا الضيقة جدا : المفكرون .

فما هو المفكر ومن هم المفكرون ؟

الفكر مركب من ٣ عناصر :

العلم - الفلسفة - الفن وكل عنصرين منها وحدهما لا يصنعان مفكرا ولا فكرا .

المعادلة هي : الفكر = العلم × الفلسفة × الفن (بالضرب لا بالجمع ،

كناية عن التفاعل العضوى الخلاق بين أطراف الثلاثية) .
وهذا بالضبط هو الفكر الجغرافى فالجغرافيا فكر أولا وأخيرا. والفكر الجغرافى، كالفكر عموما ولكن أشد وأكثر، هو تفاعل العلم بالفلسفة بالفن .

ومن هنا يأتى التجديد العلمى والإضافة .
والأفكار فى الجغرافيا هى الإطار الوحيد والضرورى لصب وترتيب المعلومات وهذا هو الحل الوحيد الحقيقى لمشكلة الجغرافيا الرهيبة، وهى طوفان الحقائق والمعلومات اللانهائى القاتل مع قلة الأفكار والأنماط الكبرى الرئيسية التى نرصها وننضدها فيها . وبغير هذا تصبح الجغرافيا علما رهيب الحجم، فاقد الهدف - غير هادف . الأفكار هى موجه ومحدد هدف الجغرافيا - البوصلة الجغرافية الأفكار بوصلة الجغرافيا والمعلومات جسمها وسفيتها . الأفكار قاطرة الجغرافيا، والمعلومات قطارها أو مقطورتها! .



التكنولوجيا والعلم المعقد جدا تغزو الجغرافيا كسائر العلوم . وستجعلها أكثر من أى وقت مضى علما مستحيلا، أما عمل الغيط فسيصبح فى استحالة رؤية الوجه الآخر من القمر .

ولقد أتت ساعة الحقيقة على الجغرافيا بكل شجاعة وأمانة أنه تلقى بخراقة أو مسخ العمل الميدانى فى البحر ووراء ظهرها وإلى الأبد إنه خداع للناس ولكن الآن فى عصر التكنولوجيا والكمبيوتر والليزر والأقمار الصناعية وخراطئ الفضاء . . أصبح خداعا قاتلا للنفس .

إنها الجغرافيا لا تتحرر برصاصة العمل الميدانى الفاسدة (المغشوشة)!



صفات مختلفة للجغرافيا : العلم المستحيل - المجنون - القاتل -
القاصم .

بهذا الحجم الرهيب والمجال المخيف ، لا يمكن إلا أن يكون نصف
الجغرافيا على الأقل أخطاء فاحشة ومروعة !

- يموت الجغرافي الجيد وفي نفسه شيء منها .

- يعيش الجغرافي الرديء وليس في نفسه شيء منها !



ولأن الجغرافيا تقف على أكتاف العلوم الأولية كلها ، على كتفى العلوم
الطبيعية من ناحية والعلوم الاجتماعية من الناحية الأخرى ، فإنها يمكن أن
تكون أكثر منها قامة وأن تتفوق عليها أكاديميًا وفكريًا ونظريةً والواقع أن
الجغرافيا ، كما تمثل وحدة الدنيا والعالم كأرض ، تمثل أيضًا وتماها وحدة
المعرفة الإنسانية والعلم كله . هي وحدها وحدة العلم والمعرفة — وكل ما
عداها اجتزاء جزئي وفصوص . الجغرافيا يمكن أن تكون قمة العلوم جميعا ،
قمة المعرفة الإنسانية جمعاء .

هناك مشكلة أصبح من الضروري حسمها ، بعيدا عن الجغرافيين من
«الباب الخلفي أو الجانبي» أي الذين بدأوا علماء متخصصين في علوم
معينة ، ثم تحولوا منها إلى الجغرافيا بصورة «رسمية» أي احترفوا الجغرافيا من
أول وجديد ، فأصبحوا جغرافيين محترفين (محترمين) بكل معنى الكلمة .
وطبعا لا يمكن أن يسموا بعد ذلك جغرافيين «هواة» .

هناك ناس يكتبون جغرافيا دون أن يقصدوا أو يدروا ويدركوا ، على هامش
كتاباتهم وتخصصاتهم أو في تضاعيفها . إنهم ليسوا «هواة جغرافيين» لأن
الهاوى عاقد قاصد وهم ليسوا عاقلين قاصدين في نفس الوقت لا يمكن

نفهم تماما من الحوزة الجغرافية ، ولا ضمهم إليها طبعاً . إنهم «جغرافيون وما هم بجغرافيين» .



ما ومن الأسبق : الجغرافى أم الكارتوجرافى ؟

أولاً ، وبلا جدال ، الجغرافيا شىء مختلف تماماً عن الكارتوجرافيا ، رغم العلاقة الحميمة جداً والخاصة جداً .

فى البدء تأتى الخريطة لكن من الذى صنع الخريطة ؟ الكارتوجرافى يقينا . ثم يأتى الجغرافى بعد ذلك ليجد الخريطة جاهزة ويقرأها أو يملأها بتوزيعاته وظاهراته وقد ينتج فى هذه العمل خرائط جديدة من صنعه وصنع يده وعلمه فهل يعد بذلك كارتوجرافياً ؟

الرد قاطع : المعنى أن هناك نوعين من الخرائط : الخرائط الهيكلية ، التى تنقل صورة الطبيعة والأرض إلى الورق ، وترفع المكان ، هى خرائط قاعدية ، خرائط الأساس ، **Outlene maps maps basic, base maps** يصنعها الكارتوجرافى بكرةً ولأول مرة بالرفع والمساحة من الطبيعة قبله لا وجود لها ، ولا قبل للجغرافى بها مهما حاول وهى أكيدا ليست عمله أو اختصاصه أو فى قدراته .

الخرائط التوزيعية : هذه هى شغل الجغرافى بعد أن يوفر الكارتوجرافى الخرائط الهيكلية السابقة ، يبدأ الجغرافى يوزع عليها ويملاً فراغها بالظواهر الجغرافية المرادة ، سكان ، مدن ، كثافات ، تيارات هوائية كارتوجرامات . . إلخ ولكن هذه ليست خرائط إنشائية بالمعنى البكر ، أو إنشائية من الدرجة الثانية أو ثانوية **Secondary maps** .

بحكم طبيعتها الشمولية وحدودها الرهية (أو اللاحدود!) فإن التفاصيل

فى الجغرافيا تأخذ مكانا ومكانة وقيمة أقل بكثير مما لها فى العلوم الأولى
لماذا؟ أولا للاستحالة المطلقة فى الإلمام بملايين التفاصيل من كل علم :
ثانيا ، لأنها بهذا الحجم والاتساع يستحيل الاستفادة منها جيدا والتعامل معها
بفائدة وجدوى ثالثا ، خشية أن يفقد الجغرافى نفسه فيها وتضيع الجغرافيا
فى تيهها .

رابعا وأخيرا ، لأن الجغرافيا تطبيقا علم استراتيجى علم الكليات ،
التفاصيل الدقيقة مجرد جسر بالنسبة إليها تصل منها إلى أهدافها الكلية
والتعميمات الإقليمية والكوكبية إلخ

التفاصيل إذن هى مجرد وسيلة لا غاية فى الجغرافيا وجسر لا هدف .
الجغرافيا لا تكرر العلوم الأولى من أول وجديد كما هى نقلا وسطوا ،
وإنما «تكرر» هذه العلوم بمعنى تنقيها وتعالجها . . إلخ إنه «تكرير» لا
تكرار .

الجغرافيا لا تعيد العلوم الأولى فى طبعة أو نسخة جديدة ، وإنما هى
«تعيد إنتاجها وخلقها تخرج منها جديدا ، ليست إعادة طبع reprinting
ولكن إعادة تحرير reediting .

إذن الجديد الذى تطرحه الجغرافيا وتضيفه إلى وعلى العلوم الأولى هو
«الحبكة العلمية» ، الوصفة ، الخلطة ، التركيبة - وذلك هو الجديد وتلك
هى الإضافة .



الجيوفيزياء = باطن الأرض .

الجيولوجيا = قشرة الأرض [٦ - ٣٠ كم] .

الجغرافيا = سطح الأرض (= la face de la terre وجه الأرض حرفيا) .

كلمة الجغرافيا فى هذا التصنيف تعنى وتساوى الجيومورفولوجيا .
 كلمة الجغرافيا الطبيعية كسابق قديم للجيومورفولوجيا كانت خطأ ، وكان
 صوابا إسقاطها لأنها تعنى ، وينبغى أن تخصص فقط ، للنصف الطبيعى من
 علم الجغرافيا جميعا كمقابل للجغرافيا البشرية .
 وهذا هو الوضع الآن ، وهو سليم تماما .
 بتشبيه جسم الإنسان ، فإن :
 الجغرافيا = البشرة القشرة الخارجة .
 الجيولوجيا = الأدمة أو القشرة الداخلية .
 الجيوفيزيا = باطن الجسم (؟) .
 ما مكان كلمة فيزيوغرافيا فى هذا الهيكل هل هى مجرد تركيب مزجى أو
 دمج **entraction** للكلمتى «جغرافيا طبيعية» .
 ولكنها فى هذه الحالة لا يمكن أن ترادف فى الجغرافيا الطبيعية المعنى
 السليم الحالى وهو مرادف الجغرافيا البشرية .
 إذن لا يبقى إلا أنها ترادف الجيومورفولوجيا بالمفهوم الحالى السائد .
 ولكنها انقرضت نسبيا وأزاحتها كلمة جيومورفولوجية تماما أو تقريبا .



الخريطة تقرأ إلى ما لا نهاية ، تقرأ عشرات المرات ، وكل مرة تكشف
 جديدا فيها مهما نظر الجغرافى فى الخريطة وأمعن النظر وأطاله ، فلن
 يستنفد كل ما فيها . كل نظرة = معلومة أو نظرية جديدة حيث الأولى
 الهيكلية خريطة أولية **primiary** الثانية تبدأ من وتؤسس على أساس الأول
 والجغرافى يبدأ حيث انتهى الكارتوجرافى (لا العكس طبعاً) .

وهنا، كما فى مجالات وفروع الجغرافيا، ورغم العلاقة الحتمية الأولية بين الجغرافيا والكارتوجرافيا، فإن الجغرافى يأخذ من الغير ليبنى جغرافيته حتى الخريطة مستعارة، سلفة مؤقتة من الكارتوجرافى والجغرافى ناقل حتى على مستوى الخريطة نفسها .

الخرائط الهيكلية إذن هى سابقة للجغرافيا والجغرافى **pre - geograpy** .

والخرائط التوزيعية هى تالية ولاحقة لها **Post - cartographic** .

لهذا تبدو الجغرافيا بالنسبة إلى العلوم الأولية كالشعر بالنسبة للنثر. . . فى درجة التكثيف، فى الجماليات، حتى فى القيمة (فرغم أن الشعر أجمل من النثر عادة، فإن النثر أهم فى الحياة جدا!) .

الجغرافيا شعر العلم :

الجغرافيا هى شعر العلم الذى نثره العلوم الأولية .

العلم نثر شعره الجغرافيا .

العلوم الأولية نثر شعره الجغرافيا .

الجغرافيا، ذلك العلم المستحيل .

والجغرافى، هذا العالم المجنون !

هل هى محض صدفة أن عبء الجغرافى وهو الأطلس الذى يحمل على كتفيه بل داخل رأسه، يستمد اسمه من أطلس آله الجبال الذى يحمل الكرة الأرضية على كتفيه ؟ .

على الجغرافى أن يطيل النظر فى الخريطة، يدقق النظر، يعاود النظر، يديم النظر فالخريطة لاتمنح أسرارها ومكوناتها من أول نظرة، بل لمن يعايشها ويعشقها ويراجعها .

الكمال العلمى ، أى الكمال فى العلم مستحيل ، ولكنه فى الجغرافيا
بالذات أشد ما يكون استحاله الكمال الجغرافى لله وحده - الجغرافى
الأعظم !

للآخرين ، يبدو الجغرافى ضيفا غربيا من البشر ، وفى ذاته ، يبدو فعلا
أنه كذلك !



هندسة المكان **Geo - engineering** هى الجغرافيا التطبيقية والهندسة
الإقليمية **regional engineering** والجغرافيا الهندسية .

الجغرافيا هى علم المكان ، كما أن التاريخ علم الزمان البعض من
المؤرخين يعرف علمه بأنه علم الزمان وليس علم الماضى بالمثل الجغرافيا ؛
ليست علم الأرض بقدر ما هى علم المكان والفارق مفهوم .
الجغرافيا هى كل شيء ولا شيء ! هذه نقطة الضعف الكبرى فيها - والقوة
أيضا !

إذا لم تكن الجغرافيا فوق الجميع ، فإنها حول الجميع ، وإذا لم تكن
حول الجميع ، فإنها تحت الجميع وفى جميع الحالات فأينما تكونوا
تدرككم الجغرافيا !

والجغرافيا ككل علم تتألف من عنصرين :

التحصيل + التفكير .

التحصيل + التأصيل .

ليس هناك جغرافيا جيدة وجغرافيا رديئة ؛ ثمة فقط جغرافى جيد وجغرافى
رديء .

عملية الجغرافية هي أساساً عملية هندسة، عملية شكل هندسى، وتشكيل هندسى للمادة الخام هي «قص ولصق» إلى حد بعيد، ولكن عملية ألغاز صينية أكثر منها حرفة (حرفية) + ذكاء علمى .
 وحتى الآن، دراستنا لجغرافية مصر لا تزيد على مجرد خدش سطحي .
 لا جغرافية حياة بدون جغرافية ميدان .
 الجغرافيا الفكرية هي وحدها الجغرافيا الخلاقة Creative Geog .
 المطلوب هو جغرافيا فكرية، بعد الفكر الجغرافى جغرافية الفكر،
 الجغرافيا المفكرة «الجغرافيا الفكرية Thoughtful Geog» .



السياحة استثمار فى البيئة الجغرافية كما أن النقل استثمار فى الموقع الجغرافى .



الجغرافيا كمادة خام فقط ثقيلة باردة، سامة، كالرصاص ! .
 فقط حين يسلط عليها شعاع الفكر (الفكر هو شعاع الليزر فى خامه رصاص الجغرافيا) تتحول إلى مادة شفافة مشعة صحية .
 «المخيلة العلمية» هي أساس كل ابتكار وتجديد وخلق فى العلم . هي مفجر الطاقة العقلية والإبداع العلمى (العلم إبداع) .
 وطبعاً، هي شىء غير «الخيال العلمى» وقصصه . فهذا علم، وهذا فن .



إذا كان أبرز (وأروع) ما فى الكرة الأرضية أنها بتنوعها الشديد جدا فى كل شىء الناس، المناخ، النبات، البيشات إلخ فإن أهمية هذا التنوع ووعاءه الأساسى هو التنوع الإقليمى، أى تنوع الأقاليم، أو تعدد الأقاليم ببساطة إن

تعدد الأقاليم على وجه الأرض ، وانقسام سطح الأرض إلى عديد من الإقاليم هو أكبر نعمة على الأرض وعلى الإنسان ، ولولاها لكان عالما مملا منفرا إلى حد السخف وفقيرا إلى حد مدقع .

إن فى اختلاف أقاليمكم ، كما فى اختلاف ألوانكم وألستكم إلخ ، كما فى معنى الآية بل إن اختلاف ألوانكم وألستكم إنما مرجعه وأصله وجماعه اختلاف أقاليمكم .



أقاليمى التى قدمتها فى النظائر الجغرافية بين أوروبا وآسيا ^(١) ليست أقاليم جوفاء ولا صماء . إنها أقاليم هيكلية لا تركيبية ، بمعنى أنها أقاليم تناظرية *Ararallelism regions* ، شكلية أكثر منها موضوع ، هندسية أكثر منها جغرافية .

ولكن لأنها أقاليم هندسية *Geometrie regions* فإنها أكثر الأقاليم الجغرافية جغرافية .

تنصب على الهيكل أكثر مما تنصب فى محتواه ومضمونه .



فكرة أوراسيا تحتاج إلى تعديل . هى تعبير جغرافى يساوى أوروبا + آسيا ، وذلك باعتبار أن الأولى امتداد أرض واستمرار جيوديزى للثانية .

هناك أيضا التناظر الجغرافى بين النظائر الجغرافية فى كليتهما .

ولكن :

(١) انظر جمال حمدان بين أوروبا وآسيا ، دراسة فى النظائر الجغرافية ، القاهرة

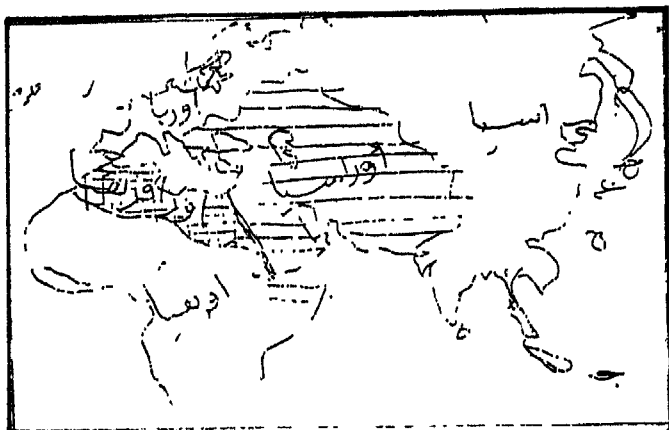
١٩٧٢ (الناشر) .

قد يكون الأصح أن نقصر مفهوم أوراسيا على جانب الجغرافيا البشرية دون الطبيعية هنا يصبح المفهوم وظيفيا وعضويا حقا .

وهنا تصبح المنطقة من شرق أوربا وغرب آسيا فقط هي أوراسيا الجديدة أو أوراسيا الصغرى ، أو أوراسيا الفعالة ، أو أوراسيا البشرية .

كيف؟ أساسا لأن السكان هنا انتقاليون بين الجنس الأبيض والأصفر ، ليسوا أوروبيين ١٠٠٪ ولا آسيويين ١٠٠٪ .

والواقع أن هذه قارة جنسية حقيقية في قلب العالم القديم - بل أن فكرة القارات الثلاث في العالم القديم إن هي إلا فكرة جيوديزية ^(١) بحتة لا تعنى من ثم كثيرا من الناحية الفعالة يمكن إعادة تقسيم قارات العالم القديم على النحو الآتى :



(١) كلمة معربة وهي في الإنجليزية "geodesy" ، أى علم هيئة الأرض ومساحتها . (الناشر)

أوراسيا — منطقة اجتماع أوروبا وآسيا من سهول آسيا الوسطى والتركستان حتى البلقان والمجر، هي ثانى بوتقة جغرافية تاريخية، ولكنها من جنسين اثنين فقط هما الأصفر والأبيض — بينما كانت منطقة الشرق الأوسط الكبير السابقة من ٣ هي أجناس الأبيض والأصفر والأسود.



بعد كولمبس وكشف إضافة فى العالم الجديد تفجرت أكبر بوتقة فى التاريخ مهمنا: أمريكا + جنوب أفريقيا نسبيا (أستراليا لا) وهى سائرة إلى جنس واحد بعد قرون مهما كان، وقريبا سيصبح الملونون أغلبية والبيض أغلبية كما أعلنوا إحصائيا.

آخر وأحدث وأصغر بوتقة هي أوروبا قلعة الجنس الأبيض التاريخية الكبرى الآن تنهار بالتسرب والتسلل والجاليات الأجنبية من الجنوب فرنسا هي بروتوتيب أوروبا، والباقي على الطريق، إنجلترا، ألمانيا أسبانيا، إيطاليا. إلخ.

مع الحضارة الحديثة المذهلة بكل مكوناتها وعناصرها والتقارب الجغرافى والتضاغط الجغرافى قرية كوكبية ستصبح الأجناس البشرية أشد تلاحما وتداخلا واتصالا ببعض، وذوبانا واختلاطا حتى تنشأ يوما ما جنس سائد فى العالم من اللابيض اللاملونين على غرار النمط المصرى الفرعونى. ستبقى صورته طبعاً لقرون. ولكن ستصبح الاستثناء لا القاعدة ومجرد حفريات تاريخية تذكر بماضى العلم الجغرافى.

إن انثروبولوجية العالم تتحول من تعدد الأجناس قديماً إلى جنس واحد وأحاديت الجنس فى المستقبل البعيد.



للمناخ (الغلاف الجوى) تأثير رهيب على طبيعة الإقليم الجغرافية (بصرف النظر عن الناس تماما) .

فالغلاف الجوى يشكل ويعيد تشكيل الغلاف الأرضى كل يوم وكل ساعة ولكن أساسا كل فصل كيف؟ إن الإقليم الواحد (الأرض) يختلف فى مظهره والإحساس به فى فصل الصيف مثلا عنه فى فصل الشتاء الأرض واحدة وثابتة، ولكن الجو متغير، ومعه يتغير مظهر وشكل وجو الأرض نفسها. فمصر صيفاً، أرض مصر، وغيرها شتاء .

وقطعة من مصر شتاء قد تبدو كقطعة من إنجلترا مثلا إقليم الفن والبرودز يشبه الدلتا أو الدقهلية شتاء ولكنهما يختلفان تماما صيفا بينما قد تتشابه دلتا الدقهلية صيفا مع دلتا المسسى .

- إن المناخ يشكل ويعيد تشكيل وجه الأرض ومظهرها وتأثيرها وانطباعها باستمرار وبقوة نادرة .



نفكر عادة فى الجو باعتباره عنصرا «هوائيا» أى شديد الحركة والتقلب دائما - وبمفهوم المخالفة مع الأرض - أمنا الأرض - بالغة الصلابة والبيئات . **Restless atmosphere** .

لكن الواقع أن الأرض فى حالة حركة وانتفاض دائمة لا تنقطع كل يوم تحدث حريبا ملايين الهزات الأرضية فى كل الدنيا ترصد أو تفوق الرصد، ولكننا لا نحس بها قط . إذن الأرض فى حركة دائمة باطنيا وسطحيا ، ولكن دون خطر بالضرورة دائما ! **Our Restess Earth** .

هناك إذن متوالية تصاعدية من حيث الحركة .
الجو شديد التقلب والحركة .

المحيط والماء متوسط الحركة والتقلب .
الأرض أقل حركة وتقلبا لكن متحرك ومتقلب .



الجنس البشرى يتحول الآن ولأول مرة فى التاريخ البشرى والبشر إلى
«جنس» واحد ووحيد! نعم جنس ، الجنس البشرى - بعد أجناس . .
كيف ؟

لقد مر العالم بأربع مراحل من الاختلاط الجيسى والامتزاج والتحاور
(الدموى) أو بأربع بوتقات جنسية تاريخية : اثنتان قبل كولمبس والعالم
الجديد ، واثنان بعده .

قديمًا فى العصور القديمة : كان الشرق الأوسط الكبير (من إيران حتى
المغرب) هو أول وأقدم بوتقة فى التاريخ يحكم الموقع الوسطى بين تلاقى
القارات الثلاث والأجناس الثلاث متحف موزايكو، بوتقة هذا هو
البروتوتيب ، الأركتيب والنموذج المصرى القديم قمته ، وهو الآن بوصلة
ومسودة العالم المعاصر والمستقبل .



كل البيئات الطبيعية سكانها هم «أبناء الطبيعة» بدرجة متفاوتة إلا المدن
وسكان المدن — أيضا بدرجة متفاوتة تاريخيا ثم جغرافيا فالمدن الحديثة
الضخمة مقطوعة من الطبيعة ، منفصلة عنها إلى حد بعيد أو بعيد جدًا (مع
ذلك فسكان الضواحي وهوامش المدينة يقتربون نسبيًا من الطبيعة) .
فالمدينة طبيعة مصطنعة ، «طبيعة ثانية» .

(حتى سكان الريف هم أبناء الطبيعة ، وإن لم يكونوا بدرجة أبناء
الصحراء أو الجبال أو الغابات إلخ) .

- الرأسمالية هي نهاية التاريخ (فوكوياما) حسنا ، هي نهاية التاريخ
بمعنى نهاية الإنسان نهاية البشرية . الرأسمالية هي يوم القيامة !
ومصر المعاصرة انتهت إلى الرأسمالية المسعورة وهذه هي نهاية التاريخ
- نهاية مصر! الرأسمالية كنهاية التاريخ لا تعنى إلا أنها «نهاية الجغرافيا» !
كلا ، يافوكوياما ، وأنصاره : القضية ليست «نهاية التاريخ» بل «نهاية
الجغرافيا» ! .

إن الأساس القاعدي الدفين وغير المنظور القومية (وإن كان منظورا
للعيان) هو العنصر أو الجنس أو العرق .
القومية عنصرية أساسا والجنسية هي الجنس نهاية ولا خداع فى هذا ولا
خطأ . لماذا؟ إن القومية التي نعرفها ونسميها هكذا اليوم هي بحذايرها ما
كان يسميه ابن خلدون فى أيامه العصبية بتاعة العصور الوسطى هي جوهر
قومية العصر الحديث .



التقسيم التقليدى الثلاث لكتل قارات العالم القديم يخفى الحقائق
الجغرافية ويبرز الشكليات فقط .
إنه تقسيم جيوديزى لا جغرافى وهو «قارات جيوديزية» لا قارات
جغرافية .

أما القارات الجغرافية الحقيقية والفعالة فى العالم القديم فهي ٥ :
أوربا ، أوراسيا ، أورافريقيا ، أفريقيا ، آسيا .



فكرة تقسم العالم إلى ٣ عوالم رئيسية (الأول ، الثانى ، الثالث) ليست

دقيقة تماما . فالفكرة ليست إقليمية صارمة جامعة مانعة ، بقدر ما هى فكرة قطاعات متداخلة بنسب مختلفة أى تركيبة أو توليفية من القطاعات الثلاث بنسب مختلفة .

فالعالم الثالث ، موجود فى كل من العالمين الأول والثانى ، ولكن بنسب قليلة ، منها يصل إلى قمته فى العالم الثالث . الذى لا يخلو من شرائح من العالمين الأول والثانى (طبقية أو مكانية) .

وهكذا العالم الثانى كان (ولا يزال) يضم شرائح من العالم الأول والثالث بنسب مختلفة فكان الاتحاد السوفييتى فعلا مكونا منه .

٣ نطاقات أو مجالات من العوالم الثلاث .

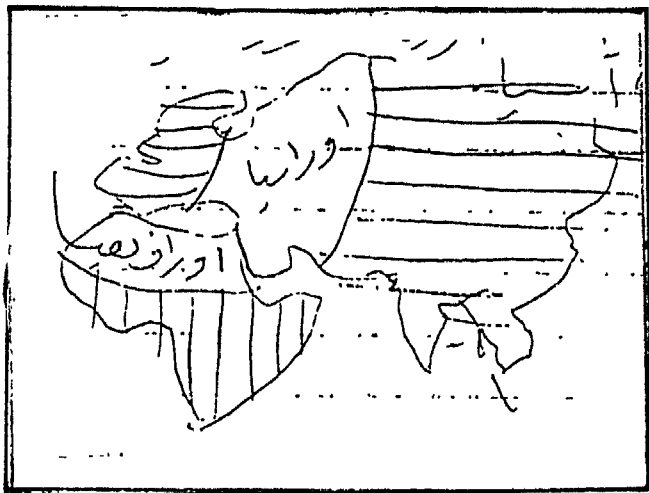
وهذا كله ما يؤكد أن فكرة الأقاليم البشرية فى العالم كله هى أقاليم جغرافية نسبية جدا مختلطة كثيرا ، وليست صارمة قاطعة قط . (وهذا طبعى) .

لم تعد فى العالم (الديناميكى جدًا المتباغض جدا) أقاليم جنسية نقية أو متجانسة كله مختلط تقريبا . حتى أوروبا لم تعد بيضاء . وكذلك استراليا بعد سياسة **all white Austr alia** إلخ .

بينما كان العالم الجديد كله (والآن + كثيرا) ملونا مختلط الأجناس منذ البداية - وقرىبا سيصبح أغلبية أمريكا (والولايات المتحدة) من الملونين أو المخلطين !

إن الجنس الأبيض لا ينقرض فى العالم فقط ولكنه ملون فى عقر داره !







مذكرات في
الجغرافيا السياسية

٣ | الفصل الثالث العرب والعالم العربي

الفصل الثالث

٣

العرب والعالم العربي

العرب والعالم العربى

فى العالم العربى وجيوبوليتكية تشابهات واضحة مع القوى وصراعها وتوازنها فى أوربا طبعا على تقريب ومع تجاوز كثير.

أولا كان المغرب العربى كله ومازال ضعيف التكامل فى كل شىء مع المشرق العربى . هذه قضية الجغرافيا وقدر تاريخى من هنا كان معزولا أو منعزلا بدرجة ما مثلما كان دائما الأئخ الأصغر، والمشرق العربى الأئخ الأكبر وكان المغرب ولا يزال يشكو من تباعد وتجاهل المشرق العربى له . . إلخ .

المهم فى كل هذا الوضع ، كان المغرب العربى أشبه بأمريكا الشمالية والولايات المتحدة فى مرحلة الاستعمار البريطانى فكان المغرب العربى مستعمرة فرنسية معزولة ومقطعة خارج العالم العربى تقريبا .

فى المرحلة الثانية ، استقلت الولايات المتحدة وعاشت فى عزلتها تبنى

نفسها كقوة قادمة فى ظل مبدأ مونرو. هذا هو وضع المغرب العربى اليوم
استقل عن الاستعمار الأجنبى ، وبدأ يبنى نفسه دون أن ينغمس كثيرا فى
مشاكل المشرق العربى وتبعاته ومتاعبه .

قد يأتى الدور الثالث يوما لينافس على زعامة العالم العربى علنا (حدث
أحيانا من جزائر بومدين وفشل) .

أما مصر فدروها كبريطانيا فى مرحلتها كانت بريطانيا أيام الامبراطورية
العظمى زعيمة أوربا وبعيدة عنها ومتعالة عليها . . إلخ هكذا كانت مصر
إلى ما قبل إسرائيل والبتول العربى .



بعد أن حاربوه طويلا وبضراوة ، قبل العرب الإسلام وأقبلوا عليه بحماس
لا يقل هوادة ، ربما لأنهم أدركوا أنه أعظم استثمار قومى أتيح لهم فى
التاريخ . ولعلمهم انقضوا عليه لينشروه بقوة وعننف خارج الجزيرة فعن طريقه
فرضوا سيادتهم ولسانهم على المنطقة وعلى عالم بأسره وكونوا لأنفسهم
رصيда تاريخيًا وقوميا يعيشون عليه إلى الأبد فضلا عن المكاسب المادية
البحثة .

لقد خرج العرب من الصحراء ودخلوا التاريخ بفضل الإسلام وما كان لهم
هذا ولا ذاك بدونه لم يكن الإسلام بالنسبة للعرب رسالة من السماء فقط ،
ولكن أيضا نجدة من السماء . God send .

التاريخ يصنع نفسه :

ليس الإنسان هو الذى يصنع التاريخ وإن بدا كذلك ، أو كان هو الأداة
المنفذة إنما يصنع التاريخ نفسه ، بمعنى التاريخ المكتوب بيد القدر .
فالتاريخ ليس التاريخ المكتوب بيد الإنسان ولكنه التاريخ المكتوب بيد

القدر وممكن أيضا أن نقول : الإنسان يكتب التاريخ ولكن القدر هو الذى يصنعه . القدر يملئ والإنسان يدوّن هذا إملاء وهذا تسجيل .
 قبل الإسلام ، لم يكن عرب الجزيرة أمة ولا كان لهم تاريخ . حتى أمة بلا التاريخ لم يكونوا ، بل مجرد حفنة أو شردمة من القبائل المتحاربة المتعاركة ، المتطاحنة المتعددة اللهجات وأحيانا اللغات ، وهى إن لم تكن تقع خارج التاريخ فإن لها تاريخ «فولكلورى» على أكثر تقدير .
 كانت الجزيرة فى قلب الجغرافيا ولكن مع ذلك فى قلب ما قبل التاريخ .

كالاستبس خارج الاستبس ، ولكن على مستوى أعلى ونتائج أبقى . دخلت الصحراء التاريخ حين خرجت من الصحراء ودخلته من أوسع أبوابه . كانت امبراطورية الاستبس فى أرضها - جنكيزخان - أوسع امبراطورية عرفها التاريخ إلى الآن كما يقال .

ولكن لعل الامبراطورية الإسلامية كانت أكبر أبعادا ومساحة وعلى أية حال فقد كانت امبراطورية الاستبس توسعا أفقيا بحثا ، محض توسع مسطح بلا عمق بعكس الامبراطورية العربية الإسلام ، مسطح + عمق طويلة العمر ، معمرة ، حيث الأخرى قصيرة العمر جدا .

السبب : الفارق الحضارى : هذه مخزن من أجل الغزو والتدمير والتخريب ليس إلا ، ولكن هذه فتح بناء متحضر .

هل كان عرب الجزيرة قبل الإسلام بلا حضارة كما كانوا بلا تاريخ ؟ حسنا ، كرامة كانوا «نصف - حضارة» (كروبير) ، وإن شئت فقل حضارة فولكلورية بجانب تاريخهم الفولكلورى .

من هنا تفاعلت شرارتهم مع دول الحضارة بمعنى الكلمة ، أى بالمعنى المادى ، ولكن كانت لهم بالضرورة - ككل الجماعات البدائية على أية حال

- «ثقافة» (لا أحد فى الدنيا بلا «ثقافة» مهما كان بداييا وكانت بدائية - قانون
انثروبولوجي عام وأساسى) .

ومع ذلك إذا قورن بدو الصحراء ببداى الاستبس ، فيمكن أن نقول إن عرب
الصحراء وصحراء العرب . كانت لها ثقافة دون حضارة ، بينما لم يكن لبداى
الاستبس لا حضارة ولا ثقافة .



بدأت القومية العربية الحديثة «كوحدة ثقافية» روج الأدباء وأمثالهم فى
الثلاثيات وحواليها .

والآن انتهت القومية العربية كما بدأت مجرد وحدة ثقافية .
وعبر مسيرة متعثرة محزنة فشلت القومية العربية كوحدة سياسية أو
اقتصادية أو حتى عسكرية .



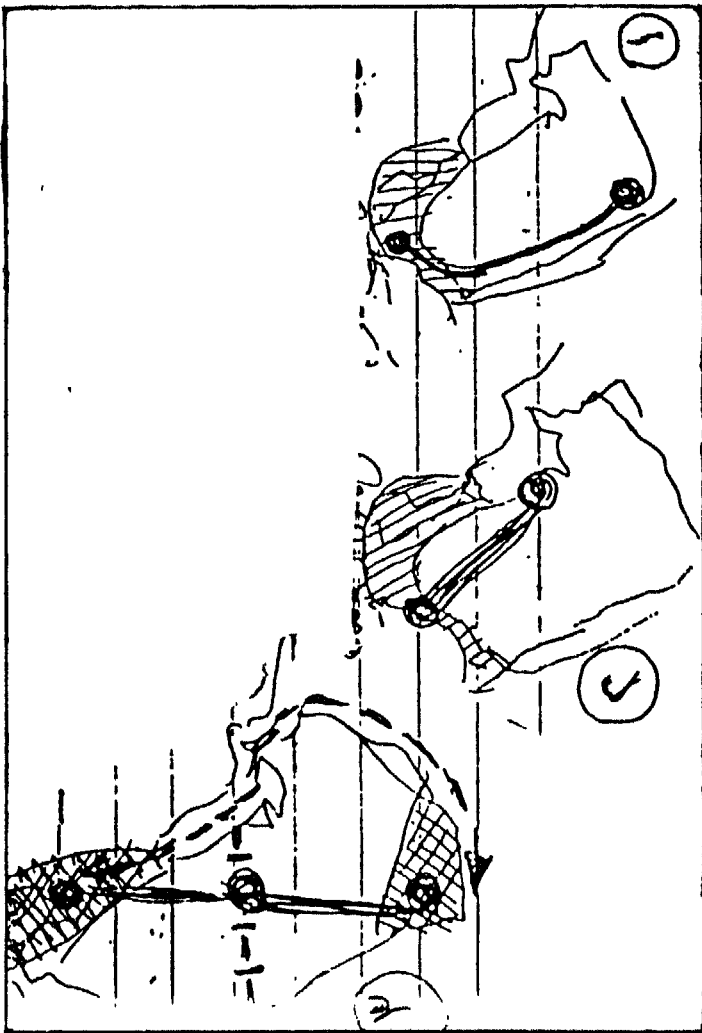
طوال التاريخ كان هناك محور تاريخي جغرافي ما بين العراق واليمن ،
وكانت اليمن دائما متأرجحة بين ، ومرتبطة بكل أو بأى من العراق والسعودية
(أو ما سبقها) والمحور أصله قوس مائل يتبع سواحل الخليج وبحر العرب
ولكن انجرف بعد ذلك إلى قاطع مستقيم عبر الجزيرة فى الوقت نفسه نذكر
محور الشام - اليمن عبر غرب الجزيرة وتهامة .

وأخيرا محور الخليج - الشام .

أى أن هناك ٣ محاور محورية .

تختط الجزيرة العربية - الهلال الخصيب .

يضاف محور عبر الجزيرة على الخاصة بين الخليج والحجاز .



فى العصور الوسطى كان العالم العربى مستهدفا من جانب أوروبا المسيحية . لم يكن العالم الإسلامى مذكورا لأن جوهره كان العالم العربى ، والباقى شبه ظل ولذا كان الصدام بين أوروبا والعرب . ولكن كان هناك ندية كاملة ولذا كان العالم الصراعى المعروف هو دائرة - أوروبا - العرب ، نواة ذات فلقتين ضخمتين متكافئتين .

الآن أصبح العالم الإسلامى كله بما فيه العالم العربى مستهدفا أولا ، لأن العالم كله أصبح صغيرا والعالم الإسلامى جزء منه . ثانيا ، لأن منذ الاستعمار والسيادة الأوروبية والأمريكية أصبح العالم الإسلامى كله مجرد نوية قديمة صغيرة داخل جسم الغرب الضخم الذى لف الكرة الأرضية لفا . أصبح العالم الإسلامى مجرد أسفين ضخم فى قلب العالم الكروى ، أو مجرد دينوصور منقرض ملقى كجثة شبه هادمة وسط العالم المعاصر .



لا يكون الدين دينا إن لم يكن دنيويا ! فالدين للحياة ، (لا للدين (؟)) ، وبالتالي علمانى بالطبع . الدين علمانى بالطبع .

وعكس العلمانية أو الدنيوية هو الأخروية فالعلمانية ليست الإلحادية ، بل هى الوسط بين الدنيا والآخرة الدين الوسطى ! يضع قدما فى الدنيا وقدما فى الآخرة .

لا دين بلا دنيا ، كما لا دنيا بلا دين الجسم للدنيا ، والروح للآخرة ، للدين .

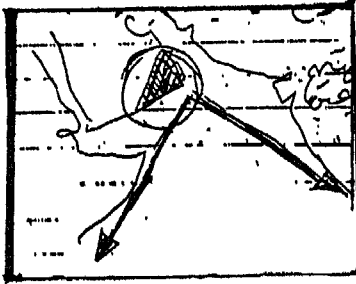


مثلث عُمان هو أقل أجزاء الجزيرة العربية ارتباطا بسائر أجزائها السبب تطرف الموقع + صحراء الربع الخالى + الاكتفاء الذاتى النسبى للغنى

النسبي لذلك لم تكن هناك محاور حركة أساسية بين عمان وسائر الجزيرة، على عكس اليمن أو الحجاز أو الحسا. بالمقابل يساعد هذا الانعزال على الاتجاه إلى البحر، فالهند فالتهنيد عُمان هي أكثر أجزاء الجزيرة تهنُّداً بينها الخليج.

رغم وجود محور سطحي بين الخليج حتي بحر العرب، فإن قطاعات الساحل ظلت جزرا منفصلة كالعقد المنفرط كل في حاله.
سؤال: لماذا اتجهت عُمان إلى شرق أفريقيا، واليمن حضرموت إلى جنوب شرق آسيا؟ أى بالمعكوس «وخلف خلاف»؟.
ظاهرة مثيرة جدا، ومحيرة.

هل كان لاتجاه الرياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء دخل في هذا؟
اتجهت عُمان وجهتين جنوبا شرقا إلى الهند، وجنوبا غربا إلى ساحل الزنج وشرق أفريقيا الآخرة مع الرياح التجارية الشمالية الشرقية (رحلة الشتاء).



والأول إلى الهند تتعامد على رياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء أى تضادها فهل يكون السبب هو اتباع الساحل واتجاهه وتوجيهه تباديا لتعارض الرياح؟.



رغم السمترية نظريا، فإن عُمان معزولة عن سائر الجزيرة العربية أكثر من اليمن فاليمن أقل انعزالا وأشد ارتباطا واتصالا حتى بين اليمن وعمان فإن العلاقات أقل مما بين سائر أجزاء الجزيرة السبب الربع الخالي. لكن اليمن وحضرموت اتجهتا إلى الجنوب الشرقي البعيد (والأبعد) متعامدة في رحلتها

على كل من الرياح الموسمية والتجارية أولا، ثم متجاهلة ومتجاوزة كل عالم الهند على الطريق ثانيا، فلماذا؟ مازال التفسير مطلوباً .

هذا يذكرنا بالبرتغال — لماذا لم تدخل البرتغال المغرب العربي، أو حتى المغرب الأقصى مراكش، وتركته لإسبانيا رغم أنها الأقرب والأكثر مواجهة وبحرية؟ .

بل لماذا تركت كل أفريقيا العربية، بل وتخطت الرأس، ولم تعرف سوى أنجولا ثم موزمبيق والأغرب: لماذا تركت إسبانيا كل أفريقيا تقريبا بل العالم القديم كله (عكس البرتغال) واتجهت إلى العالم الجديد؟ .



كانت الصحراء مشتل الأديان، والرعى مدرستها .

الأديان الثلاث في مثلثها لم تظهر لا في الصحراء المطلقة ولا المزروع الكامل بل على جهة التماس والالتحام بين القلب الميت والحلقة السعيدة .

وهذا أعطاها ميزات عديدة للانطلاق والانتشار لو كان الإسلام نزل في مصر لأصبح ديناً «نباتياً» مزروعا في أرض مصر (كالبطيخة) وحدها ولما انتشر .

لو كان نزل في الصين لصار معزولا في أقصى الدنيا . وبالمثل لو في أفريقيا الزنجية .

من أكثر تأثرا وارتباطا بأفريقيا السوداء وأكثر تنحفا: مراكش أم الجزائر أم تونس؟

طبعاً تونس أقلها لبعدها عن الصحراء ورغم تعمق الجزائر في الصحراء فإن هذا وضع سياسي جديد لا يعنى الكثير، بينما كان المغرب مراكش هو الأشد اتصالاً وتأثراً بأفريقيا الزنجية وغرب أفريقيا بحكم أن طريق الحركة

الأساسى بين المغرب الكبير وغرب أفريقيا كان دائما الطريق السفلى .
بالمقابل ، فإن نسبة العروبة والتعريب فى المغرب الكبير تقل على
العكس من الأثر الزنجى كلما اتجهنا غربا ، بينما تزداد البربرية + الترنج .
من ناحية ثالثة ، كان ارتباط مناطق المغرب . ووحداته الثلاثة بأوربا أقوى
فى مراكش وتونس منها فى الجزائر بحكم الوضع الجغرافى - (الطريف) أن
السيطرة الأوربية عليهم جاءت بالعكس ، ورغم أنها أقل ما كانت وأحدث ما
أتت فى الجزائر، إلا أنها أحدث شكل الابتلاع المطلق بالاستعمار
الاستيطانى !



العرب مجموعة من الأقارب العرقيين قبل الإسلام بكثير. ولكن درجات
القربة متفاوتة، وأحيانا محدودة. الإسلام والتعريب دعم هذه العلاقة وضح
فيها دما جديدا .

كما قلنا ، كما تقل نسبة العروبة غربا فى المغرب العربى الكبير، تزيد
نسبة الزنوجة والأثر الزنجى ، أى أن العروبة والزنوجة تتناسبان تناسبا عكسيا .
يلاحظ أيضا أن وضع المغرب الأقصى (مراكش) فى هذا يشبه وضع
مصر على الجانب المقابل من الصحراء - فكما بسبب النيل فى مصر، زاد
تدفق الدم الأسود فى مراكش بسبب الساحل محور الحركة الأساسى هناك .
ثم تأتى الجزائر بنسبة أقل من الترنج ، بسبب تعمقها فى الصحراء
واقتراب قمة النيجر شمالا . وهى فى هذا مثل ليبيا إلى حد بعيد .
ثم بين الجميع تأتى تونس ، منفصلة تقريبا عن الصحراء وبلا عمق ،
وبالتالى أقل الجميع ترنجا .

أى أن تونس هى نقطة الوسط وقلب الميزان فى أفريقيا شمال الصحراء ،
فهى أبعد نقطة عن الزنوج وأقلها تأثرا بالدماء الأفريقية ، ثم منها يمينا ويسارا

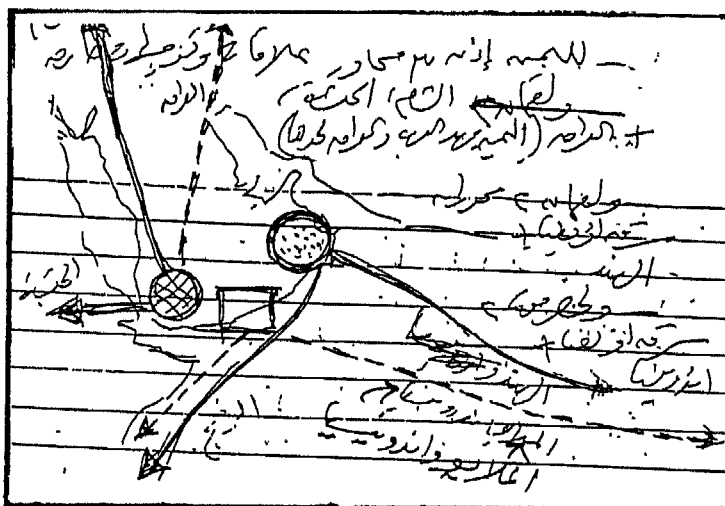
تزداد نسبة الدماء الأفريقية باطراد حتى تبلغ أقصاها في أقصى الطرفين مصر ومراكش (مع ملاحظة أنها أكثر في مصر منها في مراكش ، لأن النيل كان موصلاً جيداً أكثر مما ينبغي للدماء السوداء من طريق الساحل الأطلسي .
لليمن إذن ٣ محاور علامات وتوجيهات خارجة الشام ، الحبشة ، + العراق (اليمن مهد العرب والعراق لحدها) .

- ولعمان ٢ محوران .

شرق أفريقيا + الهند .

- ولحضرموت ٢ .

شرق أفريقيا + إندونيسيا .



ظاهرة عجيبة فعلا :

الأتراك والترك والعثمانية مارسوا «القفز الضفدعي» ليس في
امبراطوريتهم شمال أفريقيا فقط ولكن في trek هجرتهم غربا .

فمن وسط آسيا بدأوا الهجرة غربا ، ولكن قفزوا على إيران ، ليتوطنوا في
الأناضول أشبه شيء بقطار له قاطرة (في الأناضول) وله سبنسة (التركستان)
تركها منفصلة عن القاطرة وبدون قطار في الوسط (إيران) .

والآن تعود تركيا تبحث عن السبنسة المنفصلة ولكنها تجد إيران في
ظهرها كعربة حنطور يقودها حصان نحو العرب ، والآن «كرباج ورايا
أسطى» !

تركيا هنا عميل لأمريكا (حصان طرواده) بينما إيران عدو لأمريكا .
ويبدو أن جمهوريات آسيا الوسطى خرجت من التبعية الروسية لتقع
تحت الوصاية الأمريكية !

ترك الأتراك لوطنهم الأصلي في آسيا الوسطى واستبداله بجديد هو
الأناضول ، يشبه ويسبق هجرة الأوربيين إلى العالم الجديد وأمريكا
واستبدالهم وطنا بوطن إلا أن الفاصل هنا المحيط ، ولن هناك كتلة متداخلة
صفيقة هي إيران .

الصراع بين إيران وتركيا حقيقى جدًا على الزعامة في الشرق الأوسط
وغرب آسيا .

والغريب جدا أن هناك تناظرا كاملا في استراتيجية الصراع بينهما يشبه
ويكمل التناظر الموافق العام العجيب .

فكما يتفق ، هما يؤلفان رأسى حربة في مواجهة إحداها الأخرى ومن
خلف كل منهما يمتد عالم مساعد يغذيها بالقوة وأسباب القوة والدعم .

فإيران اليوم نجحت في استقطاب كل آسيا من خلفها تقريبا، تمدها بالسلاح (والنوى) وعلاقات صداقة وثيقة أو وثيقة جدا: الصين، الباكستان، روسيا، حتى الهند، بل حتى اليابان التي رفضت تحجيم أمريكا لعلاقاتها مع إيران.



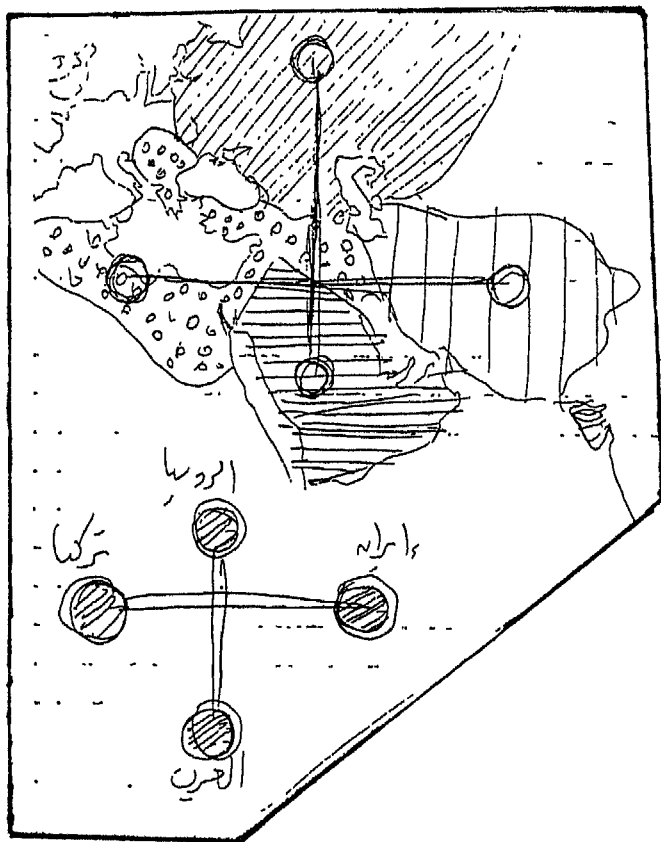
منذ العصور الوسطى فقط تاريخ الصراع الامبراطورى فى شرق أوروبا وغرب آسيا والشرق الأوسط والعالم العربى؟ هناك ٤ امبراطوريات تعاقبت أو تعاصرت وبينها دائر الصراع كصليب كالموضح.

أقدمها إيران فى الشرق، وهى سابقة للعصور الوسطى.

ثم فى العصور الوسطى ظهرت الامبراطورية العربية من الجنوب ثم تلتها الامبراطورية العثمانية فى الغرب ثم أخيرا وآخرها الامبراطورية القيصريّة فى الشمال.

إن التوجه الطبيعى سياسيا وحضاريا واقتصاديا للعالم العربى والشرق الأوسط كله هو إلى أوروبا لا إلى أمريكا مهما كان التفوق الأمريكى والسيادة والسيطرة الأمريكية.

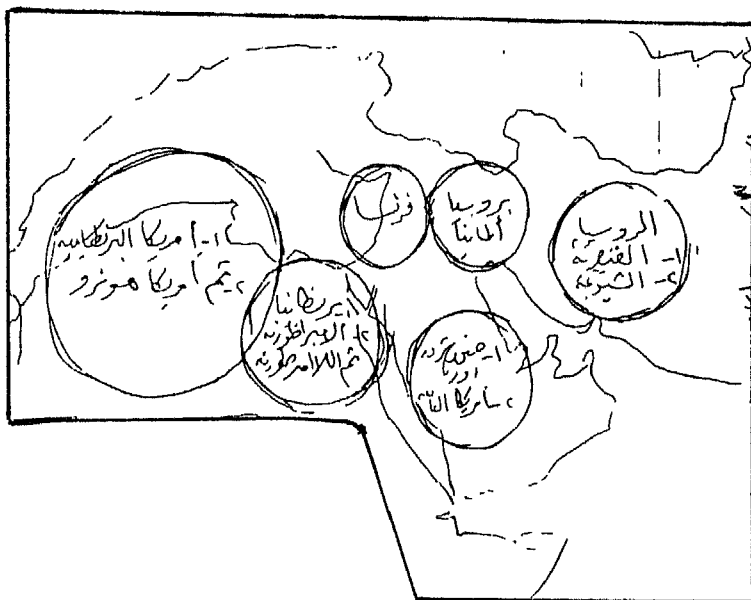
لكنه البترول أساسا وإسرائيل أولا، هما اللذان حرّفا التوجه الطبيعى من أوروبا إلى أمريكا (+ انحدار أوروبا) (طبعا) لكن لولا إسرائيل + البترول لكن المشرق العربى كله (كالمغرب العربى حاليا) بوصلته أوروبا أساسا لا أمريكا ولذا نجد الآن أن المشرق العربى منطقة نفوذ أمريكية بحتة، بينما المغرب العربى منطقة نفوذ أوروبية فرنسية.



أما إيران فهي تشبه بالروسية القيصرية أيام الشاه، انقلبت إلى الاتحاد السوفيتي وثورته وأيديولوجيته مع الثورة الخومينية .

أما الشام (خاصة سوريا) فهي ببساطة فرنسا العرب : الزعامة الأيديولوجية والروحية والتقدمية السابقة، ولكن بلا قوة مكافئة - العراق هو روسيا العرب وألمانيا - صراع القوة + التخلف، وعقد تاريخية .

أما الجزيرة العربية فكانت أشبه بجنوب شرق أوروبا والبلقان . وضعف وتخلف ورجعية إلخ . . إلى أن قلبها البترول المجنون إلى أمريكا ولكنها التابعة لأمريكا .



هل العرب عائلة لغوية فقط ، أم هى أيضا وأصلا عائلة جنسية واحدة؟
هل المتكلمون بالعربية الآن هم أصلا أقارب جنسيا بدرجة أو بأخرى ، أم
أشتات جنسية بلا قرابة عرقية؟

هناك دراسات مبعثرة لو صحت لكان كل العرب الحاليين (= المتكلمين
بالعربية) هم أصلا أقارب جنسيا بل وعائلة جنسية واحدة .



كارثة فلسطين إسرائيل هى ببساطة كالاتى : طلبت الصهيونية العالمية
دولة لليهود فى فلسطين فأسسها لهم العرب !

المعنى : قيام إسرائيل وضياع فلسطين هو مسئولية العرب والعجز العربى
والخيانة العربية والجبن العربى والتفرق العربى .

الذى حدد نتيجة الصراع العربى الإسرائيلى هو الصراع العربى - العربى .
الفلسطينيون لم يبيعوا فلسطين لليهود ولكن العرب هم الذين باعوا
فلسطين والفلسطينيين لإسرائيل !

بعضهم يقول : القومية أيديولوجية - كالشيوعية وكالإسلام . إلخ ،
وكما سقطت الشيوعية سقطت القومية ، وجاء الإسلام ليبقى . . إلخ .
حسنا ، الشيوعية أيديولوجية ، كالأسمالية ، وبعيدا عن الإسلام الذى هو
دين أولاً وآخرا ، وليس أيديولوجية بالمعنى الجارى ، فإن القومية ليست
أيديولوجية على الإطلاق ، نأخذ بها أو نرفضها ، تنمو أو تندثر . إلخ
إنما القومية «طبيعة» ، عنصر طبيعى كالتضاريس والجبال والأجناس . .
إلخ من معطيات الطبيعة ، وتحديد الجغرافيا وإن أبدت بعدا تاريخيا ، هو
بدوره جغرافى أصلا .

أثبتت كل التجارب والأحداث أو سوف تثبت إلى الآن، أن الحقيقة المحورية الوحيدة التي تدور حولها الحياة السياسية والوجود السياسي في العالم هو: القومية لا بديل عنها ولا مفر منها ولا مبدل لها.

كقطعة الفلين على الماء، مهما غمرتها بالقسر في غياهب الماء تطفو إلى السطح حتما.

القومية هي سنة الحياة السياسية.

الوطنية قبل القومية وفوقها، تاريخيا وسياسيا، رأسيا وأفقيا.

بمعنى أن الوطنية سابقة للقومية زمنيا وتاريخيا، وسابقة عليها تراثيا وقيمة.

إن قبول العرب نهائيا بضياغ فلسطين نهائيا وتثبيت إسرائيل نهائيا، وهو مقابل الخروج الأندلسي مع فروق، سيكون اعترافا بل إعلانا من العرب عن إنهاء وحل العروبة والقومية العربية نهائيا وإلى الأبد. بمعنى أن أمة قررت حل نفسها واعتبار ذاتها ليست أمة - تماما كما أعلن الاتحاد السوفيتي حل نفسه وإنهاء وجوده كدولة.

وفي الحالين، فإنه انتحار سياسي وقومي على مبدأ «بيدي لا بيد عمرو» والعدو المضاد في حالتنا هو إسرائيل، وفي حالة الاتحاد السوفييتي أمريكا. وفي الحالين، فإن أمريكا هي القاتل النهائي عن بعد remote assassin.



نابليون هو أول أصحاب فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين أي إسرائيل!!



لقد نجحت الصهيونية في إنهاء وإفناء القومية العربية التي لم تكن قد بدأت بالكاد وكانت في مرحلة التكوين والنمو بالمعنى الحديث - إذ يبدو أن إسرائيل لن تزول أبداً فإذا ما بقيت فهذا حتماً هو زوال القومية العربية إلى الأبد إنهما نقيضان مستحيل اجتماعهما .

إذا كان اليهود يقولون : لا معنى لإسرائيل بدون القدس ، فنحن نقول لهم : لا معنى للعرب بدون فلسطين .

الكوارث السياسية التي أصابت العالم العربي + آثار البترول ، سببت مرحلة أو عصراً من التحركات السكانية والهجرات والتبادلات السكانية + التزاوج الكثيف بين الدول العربية . دياسبورا^(١) الفلسطينيين في العالم العربي جعلت الآلاف منهم يتزوجون عرباً آخرين كالمصريين والعرب ، المصريين والليبيين .

بوتقة عربية حديثة وخطيرة :

[وهكذا أصبح في الشرق الأوسط بوتقان متضادتان بوتقة إسرائيل ، بوتقة العرب] .



أقطاب الشرق الأوسط الثلاث ، مصر ، إيران ، تركيا ، بينهم منافسات وصراعات إقليمية حتمية ، أرادت أم لم ترد ، والمسألة مسألة توازنات جيوبوليتيكية لا إرادية . وثلاثتهم غرماء ومتنافسون رغماً عنهم . كل ارتفاع هنا ، يعنى انخفاضاً هناك (إسرائيل دخيل هزيل إلى زوال) .
ولكن فروق هامة جداً بين الغرماء الثلاثة !



(١) دياسبورا Diaspora أى «الشتات» (الناشر) .

حقيقة هامة . ولكن الحقيقة الأغرب هي أن مصر والعالم العربى هي كذلك أيضا من الناحية الجنسية فهي مجمع الأجناس ومفرق السلالات ! عندها تتقارب كل الأجناس الرئيسية ، وتتباعدها معظم السلالات الفرعية . الارتباط هنا والتناظر ليس عشوائيا بل هو وظيفى وعضوى ومنطقى ، بسبب الموقع الجغرافى الأوسط .



إضافة إلى العالم العربى ، والعالم الإسلامى أصبح هناك عدة «عواالم» جديدة العالم الجديد العالم الثالث .
العرب أخرجوا من التاريخ ، ولكنهم بأنفسهم «استقالوا» من الجغرافيا !



مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الرابع الإسلام والعالم الإسلامي

٤

الفصل الرابع

٤ الإسلام والعالم الإسلامي



الإسلام والعالم الإسلامي ...

إنثروبولوجية الإسلام الحضارية :

ولاشك أن الإسلام اليوم يمثل عنصرا غير متكيف تمام Misfit مع حضارة العصر التي هي أساسا حضارة الغرب . وهي مشكلة المسلمين لا الإسلام طبعا ، ولكنها دائما يتم إسقاطها عليه (القاعدة هي مرادفة الإسلام بالمسلمين ، وإسقاط المسلمين على الإسلام لا العكس ، وهذا هو الخطأ الجذري والعمدى الذى يلجأ إليه كل نقاد الإسلام من حيث هو إسلام) .

وإذا كان الإسلام اليوم ضعيفا مغلوبا على أمره ، والسيادة والسيطرة لأوروبا والغرب المسيحي خارج كل حدود ، فإن هذا الوضع ليس قديما أو أصيلا بل حديث طارئ منذ العصور الحديثة . تماما كما هي قصة التوازن وصراع القوة بين أوروبا وآسيا .

فقدنما فى العصور الوسطى وما قبلها كانت أوروبا تقع تحت مطرقة آسيا والآسيويين وغاراتهم واحتلالهم قرونا ، وكانت الغلبة دائما للرعاة الآسيويين . . . إلخ ثم انقلب الميزان رأسا على عقب منذ البارود فى العصور الحديثة ، وأصبح العالم الآسيوى مستعمرة لأوروبا تقريبا .

نفس الشيء بالنسبة العالم الإسلامى (مع ملاحظة التداخل الجزئى جغرافيًا بين العالم الإسلامى والعالم الأوراسى) .
ففى العصور الوسطى كان العالم الإسلامى سيد أوروبا وغازيها . بعد العصور الحديثة انقلب الميزان .

المهم فى هذه النقطة هو ذلك التشابه التاريخى فى تطور علاقة القوة بين كل من العالم الإسلامى والعالم الآسيوى وبين أوروبا المسيحية والغرب الأوروبى .



الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى تقابلها الأقليات غير المسلمة داخله . جزر فى هذا المحيط مقابل واحات فى تلك الصحراء . وكلتاهما تمثل منطقة انتقال دينية بين كتلة الإسلام وغير الإسلام ، أى مساحة من الوصل (بقدر ما هى من الفصل) بين عالمين ، أو قل مساحة رمادية بين الأبيض والأسود فهى تقرب بين النقطتين وتخفف من التناقض والتضاد بينهما ولذا فهى مفيدة كعامل ربط نسبيا ، أى ليست شرا مطلقا أو شرا لا بد منه ، أو شىء لا خير فيه وإنما هى شىء لا بد منه .

على الجانب الآخر هى تبدو «كرهائن» فى يد الطرف الآخر، تقع تحت رحمته بالقوة ، وفى الأزمات تصبح تحت رحمته بالفعل ، فىكون الاضطهاد . . إلخ .

كان العالم العربى فى الشرق الأوسط بمثابة «مرتفع قوة»، أشبه بالجبل المحذب العالى، ولكن تحول الآن إلى «منخفض قوة» تحيط به مرتفعات القوة من كل الجهات (إيران + تركيا + الغرب) فتحول من جبل إلى أخدود - ولسّه «قتل أصحاب الأخدود».

كان الصراع الثنائى بين الشرق والغرب إلى أن انتهت الحرب الباردة الآن بكل الصراع أصبح بين الشمال والجنوب.

حسنًا، الأصح أن يقال بين الشمال والعالم الإسلامى .

والعالم الإسلامى هو القطاع السياسى الحقيقى والفعال والمتحضر من العالم الثالث والجنوب والعالم الإسلامى من الجنوب وليس فيه، بل ليس فى الجنوب تمامًا بالمعنى الجغرافى، وإنما هو الوسط إنه أوسط إنه العالم الأوسط - جغرافيًا وحضاريا وثقافيا وجنسيا وبشريا إلى آخره.

لذا فإن الصراع الحقيقى انتقل اليوم إلى معادلة جديدة: معادلة الصراع: الشمال ضد الوسط (لا الشمال ضد الجنوب).

بعض الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه الخطر الجديد والعدو الجديد بعد سقوط الشيوعية والسوفييت إلخ.

هذا علنا وحرفيا .

والمقصود أن الصراع الأيديولوجى السابق حل محله صراع أيديولوجى جديد فالإسلام كعقيدة هو أيديولوجية - أيديولوجية مضادة لأيديولوجية الغرب، وللغرب، وحضارة الغرب. إلخ وقديما قال البعض إن (الإسلام = الشيوعية - الإلحاد) أى باستبعاد الإلحاد يقترب الإسلام من الشيوعية أو الشيوعية من الإسلام شيوعية مؤمنة (لا ملحدة) أو فلنقل اشتراكية مؤمنة (لا ملحدة) باعتبار أن الخلط بين الاشتراكية والشيوعية قضية معقدة.

ولأن الإسلام اشتراكية أو شيوعية مؤمنة لا ملحدة ، فإن خطرهما أشد من الشيوعية أو الاشتراكية الملحدة السابقة ، لأنها مسلحة بأنياب دينية ومن هنا حرب الكراهية والعداء الرهيب من الغرب .

ليس هذا بالشىء المقلق أو المحزن أو المفزع أو المفجع بالضرورة ، على خطره وخطورته ، ومأساته ومأساويته . لماذا؟ لأنه رغم كل شىء ورغم أنف العدو المقطوع ، دليل ندية ما ، شبهة ندية اعتراف بأن العالم الإسلامى ليس جثة هامدة أو كمًا مهملاً *quantite negligeeable* . المهم فقط أن يرتفع العالم الإسلامى إلى مستوى التحدى بنجاح ، فحينئذ يثبت ذاته وأهليته ونديته ويفرض احترامه والاحترام المتبادل والمساواة المتبادلة لبدء سلام الشجعان وصلح الفرسان وربما تكون هذه العداوة هى مفجّر الفرصة والنجاح .

الإسلام اليوم يعيش الحضارة الحديثة المعاصرة (أى الغربية أو الأوربية) ولكنه لا يعيش نمط الحياة الغربية *genre de vie* .

هو يقبل الحضارة الغربية ، لا «المجتمع» الغربى . هو مندمج حضاريا ، مختلف مجتمعيًا . من هنا الخلاف والاختلاف غير قابل للذوبان فى الحضارة الحديثة ، يعيش خارج الحضارة الحديثة لا يمكن هضمه كما لا يمكنه هضمهم . هذا يعتبره بعض الغربيين تحديا ، التحدى الإسلامى المزعوم ، والذى يهدد حضارة الغرب وربما حياة الغرب ولكن هذا وهم - أوهام العوام والخواص والخواجة - أوهام الخواجة .

فعلا - انتشار الإسلام وتمده ملحمة جغرافية فريدة لا مثيل لها قط بين الأديان هذا التوسع القاري القرنى خرافة تاريخية تقريبا ولكنه حدث .

وحدود العالم الإسلامى اليوم تمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسى -

الهادى) ومن البحر إلى البحر (البحر الأسود إلى بحر العرب) ومن البحر إلى المحيط (المتوسط — الهندي). ومن البحيرة إلى البحيرة (بيكال — فيكتوريا).

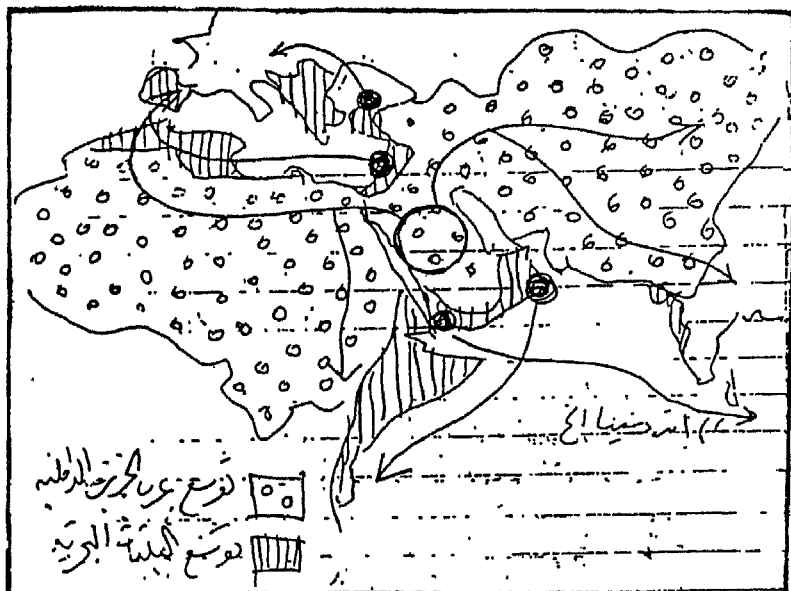
— الإسلام دخل أوروبا من الغرب ومن الشرق الأندلس والبلقان.
كانت القاعدة فى الأولى الشام الأموى، وفى الثانية الأناضول العثمانى.

هاتان هما البيتان البحريتان التى توسع منهما الإسلام شمالا.
وهناك بيتان بحريتان أخريان فى الجنوب توسع منهما الإسلام بحرا — عُمان إلى أفريقيا واليمن إلى الهند الشرقية.
وما بين الاثنين بيئة قارية برية هى التى توسع منها عرب الجزيرة الداخلية ليغطى قلب القارات فى آسيا وأفريقيا.
لاحظ دور الشام التوسعى كبيئة بحرية: قديما إلى قرطاجنه (تونس). ثم إلى المغرب فالأندلس.

لقد قفز عرب الإسلام رؤوس ولا نقول جثث البيئات المستقرين وتجاوزهم إلى أبعد آفاق الإسلام على رؤوس المصريين إلى المغرب غربا وإلى السودان جنوبا.

فالذى نقل الإسلام وأدخله إلى المغرب وإلى السودان ليس المصريين ولكن عرب الجزيرة عبر مصر).

وهكذا فعلوا شرقا على رؤوس العراق.



الدولة الإسلامية العالمية الواحدة هي محض هوس ديني محموم،
جاهل، معتوه.

لماذا لا يطالب آخرون بدولة واحدة للمسيحية العالمية؟ ثم ماذا يحدث
لو تحقق وهم أو سفه الدولتين العالميتين الواحدتين الإسلامية والمسيحية.
أفيقوا واعقلوا أيها المسلمون الجاهليون.

الزاوية القائمة الثالثة في شرق المتوسط (الشام + تركيا) كانت مركز
انتشار الإسلام في أوروبا: الشام إلى الأندلس، وتركيا إلى البلقان (لا فضل
لمصر قط في نشر الإسلام جغرافيًا!) سوى الدور السلبي، دور الممر لا
المكبر، المطية لا الفارس).

من اللافت بشدة أن أهم خصائص أو صفات الإسلام هي نفسها أهم

خصائص وصفات أرض الإسلام ، أى العالم الإسلامى ، وهى التوسط والاعتدال فى الحالين . فالعالم الإسلامى متوسط الموقع تماما فى العالم القديم ، ويبتته الطبيعية أقرب إلى الاعتدال بحكم هذا التوسط (موقع متوسط ، وموضع معتدل) أما الإسلام فيقال لنا دائما إنه دين التوسط والاعتدال لا إفراط ولا تفريط لا تطرف ولا تعنف .



فعلا أوروبا والعالم العربى (+ الشرق الأوسط) هما وحدهما شركاء التاريخ البشرى الفعال . هما فرسا رهان التاريخ والحضارة والسياحة والاستراتيجية والدين والصراع والسلم والحرب . وإذا كان هناك تنافس وصراع ، فهذا إنما يؤكد الندية وأنهما فرسا رهان . وإذا كانت أوروبا تنكر هذا ولا تراه ، فهذا عمى ألوان .

من هنا يجب ألا نفصل عن أوروبا ، باعتبارنا وحدنا الأعرق والأقوم والأكثر أصالة وقربة وقربا فى عالم إما قديم ولكنه معزول تماما كالمجهول أو غير الموجود (الشرق الأقصى) وإما جديد محدث طارئ (أمريكا) . وكما يتقارب الأوروبيون أنفسهم داخل أوروبا بعد صراعات ألفية رهبة وذكريات مريرة ، فإن الدور ينبغى أن يأتى على أوروبا مع العرب والمشرقيين (الشرق الأوسط) .

لمصلحة الطرفين ذلك على الأقل لإحداث التوازن ضد القادمين الجدد الذين يهددون كلا الطرفين ، وخاصة الطغيان والهيمنة الأمريكية المجنونة . ولأن أطراف العالم الإسلامى الجنوبية سواء فى آسيا البحرية أو أفريقيا الساحلية تلقت إسلامها من الجنوب العربى ، عُمان وحضرموت ، فإنها قد تأثرت بمذاهبها الدينية فوجد الشيعة فى الحاليتين نتيجة للزيدية من اليمن (والإسماعيلية فى شرق أفريقيا) كما نجد الإباضية من عمان ، وكذلك

الشافعية فى الملايو (من اليمن) .

نفس الشئ نجده فى غرب أفريقيا من تأثير الإباضية والخوارج والفواطم من أطراف المغرب الصحراوية (وهى أطراف العالم الإسلامى عمليا) .
كل هذا لا نجد لهما مثيلا أو مقابلا على الأطراف الشمالية للعالم الإسلامى حيث تسود السنة والحنفية ! بتأثير عرب القلب ثم الأتراك .
[هل نستنتج قاعدة عامة أن الإسلام يتدهور نوعيا فى جنوبه عن شماله ، وفى شرقه الأقصى عن غربه؟] .

مفارقة غريبة جدا الملايو (وسنغافورة) كانت مركز نشر وضح الإسلام فى جنوب شرق آسيا لكن سنغافورة (الدولة) الإسلام فيها أقلية ضئيلة جدا : ١٧٪ فقط ! السبب الهجرات الأجنبية من الصين والهند وبوزيين وهندوس هذا «خداع الهجرة» (على وزن خداع الأرقام - أرسطو) .



مناطق الدخول والخروج فى العالم الإسلامى : كل من الإسلام والبترول أثر عليها وعدّلها قديما كانت الجزيرة العربية إقليم خروج للسكان ولموجات البشر بعد الإسلام تجاذب إليها المؤمنون وأقاموا + الرقيق كل هذا خلط السكان جنسيا وراكم الكثافة .
وهكذا جعل الإسلام الجزيرة العريضة مثل مصر إقليم دخول واختلاط .

البترول جاء الآن ليضعف الصورة التى بدأها الإسلام إلى الذروة (بينما حوّل مصر إلى إقليم خروج لأول مرة فى تاريخها) .
المغرب العربى كان إقليم دخول أيام الاستعمار (المغامرون) بعد الاستقلال تحول الآن إلى إقليم خروج (المهاجرون) إلى فرنسا وغيرها بأوروبا) .



بالمقابل ، لو كان الإسلام نزل في
غرب الصحراء الكبرى مثلا لانتشر
ولكن في الغرب وربما في أوروبا دون
الشرق في العالم العربي .

البحر المتوسط مشتل الملاحة .

والنيل مشتل الفلاحة .

ولصحراء العرب مشتل الدين .

البيئة الطبيعية وأيكولوجية الصحراء
والانتخاب الطبيعي كلها تفسر نزول
الإسلام في الصحراء .

ولكن الانتخاب الاجتماعي والحرفة حرفة الرعي والبدواة تكمل التفسير .
كل الأنبياء رعاة .

موسى يمثل وحدة الجزيرة العربية
مصر الجغرافية والتاريخ . فهو نشأ في
مصر وعاش في مدين ثم عاد وذهب
مرات . كقوس حول البحر الأحمر .



إذا كانت اليمن لم تتجه إلى
ساحل الزنج (عكس عُمان) فإنها
اتجهت إلى الحبشة المواجهة عبر
الأحمر . وبذلك صار لها نهران عبر
البحار (كعمان) : أبعد جدا في
الملايو إلخ ، وأقرب جدا في الحبشة .

يحار المرء فى تجديد مدى عمق ووزن وقوة التوغل الإسلامى فى أوروبا
فى العصور الوسطى .

ففى الغرب فى إسبانيا تقدم الغزو حتى قلب فرنسا ولكنه ارتد فوراً إلى
قاعدته فى إسبانيا حيث عمّر ٨ قرون .

فى الشرق فى البلقان تقدم الغزو التركى حتى قلب أوروبا الدانوب والقزم
وجنوب روسيا وأبواب فينا ، ثم انحسر قليلاً قليلاً وخطوة خطوة على مدى
٤ قرون هى طول عمره فى البلقان كلها تقريباً فى الغرب عمر الإسلام ضعف
ما عمّر فى الشرق ، ولكن زحفه وتوسعه الفعال كان نصف مثيله فى الشرق !
أى بالتنصيف مساحة والضعف عمران .

الغرب = $\frac{1}{2}$ المساحة × العمر .

الشرق = $\frac{1}{2}$ مساحة × العمر .

- مصر هبة النيل .

الخليج هبة البترول .

البترول الإسلامى :

أى البترول فى العالم الإسلامى ينقسم إلى نوعين ، لكل منهما إسلامه
البترولى Petro - Islam .

البترول الشيعى : ودورة المؤمرات + الحروب العدوانية ، لتصدير الثورة
الشيعية [ما يسمى فى إيران «الثورة الإسلامية» لا هو ثورة ولا هو إسلام بل
بؤرة شيعية (صديدية) .

البترول السنى : ودورة الرجعية + المظهرية . تدعيم الحكم الرجعى
الدينى والثيوقراطى بأسمنت البترول المسلح ، ومحاربة التطور الحقيقى .

البتروى الشيعى : ثورة مضادة .

البتروى السنى : مضاد للثورة .

الاثنان كلاهما = الثروة ، الثورة .

الاثنان كلاهما = الشيوقراطية فى الداخلى .

+ ادعاء الزعامة الإسلامية فى الخارج .

والاثنان كلاهما = باطل وخاطئ ومدمر ومخرب .

البتروى الشيعى = تثار العالم الإسلامى الجدد .

البتروى الشيعى = وندال العالم الإسلامى الجدد .



ليس دقيقا بالضبط أن مصر رأسها فى أوربا وجسمها فى أفريقيا .

الصحيح أن مصر رأسها فى أوربا ، وأقدامها فى أفريقيا ، وجسمها فى

العالم العربى .



اتخذ الإسلام شكل خريطته الراهنة تقريبا نهاية العصور الوسطى ، حين كان قد أصبح دينا آسيويا أفريقيا من المحيط إلى المحيط ، فى الوقت الذى كانت المسيحية ظاهرة أوربية بحتة ، قاصرة على أوربا ومحصورة (أو محاصرة) فيها أما المسيحية فقد تأخر توسعها خارج قارتها الأم طويلا ، بينما كان الإسلام أسبق جدا إلى التوسع ، بل هو ولد بحجمه وانتشاره الحالى تقريبا أو عمليا إذ تم معظم توسعه فى قرن أو يضع قرن أما المسيحية فقد تأخر توسعها حتى العصور الحديثة والكشوف والاستعمار وخروج أوربا من قوقعتها إلى العالم وعبر البحار حتى لفت معهم الأرض كلها وهكذا أصبح الإسلام محاصرا بالمسيحية من كل الجهات ، بعد أن كان العكس .



العالم الثالث تعبير فضفاض ومركب جدا وطبعاً أبعد ما يكون عن التجانس إلا في الحد الأدنى .

- المهم ، يمكن تقسيم العالم الثالث إلى الوحدات الآتية :
- العالم الإسلامي (العالم العربي + العالم الإيراني - الطوراني) .
- العالم الموسمي (آسيا الموسمية + الفلبين - اليابان) .
- أفريقيا السوداء (جنوب الصحراء) .
- أمريكا اللاتينية .

طبعاً هناك تداخلات ، ولكن محدودة وثانوية إندونيسيا في العالم الإسلامي ويلتقى فيها العالم الموسمي (أو الاستوائي) كذلك أطراف أفريقيا السوداء .



اضطهاد المسلمين ومذابحهم المعاصرة في ختام القرن ٢٠ وعلى أبواب القرن ٢١ الميلادي (لا قبل الميلاد) ظاهرة مؤسفة مخجلة طبعاً ومرفوضة تماماً : ولكنها للأسف طبيعية - فالتعصب الديني والصراع الطائفي جزء من صراع الشعوب والأمم والدول والقوى والمجتمعات والجماعات ، صراع البقاء المؤبد ولماذا نندهش له ونستغربه ؟ على بشاعته ورفضنا له ، ومثله أو عكسه موجود بيننا داخل العالم الإسلامي وقبله ألم يكن الكفار يضطهدون المسلمين في عصر النبي ؟

«دار الإسلام» وقد تحولت - للأسف - إلى «دار حرب» .

في العقود الأخيرة أصبح العالم الإسلامي ساحة لحروب عديدة لا تنقطع (١) إما داخله بين دول إسلامية .

(٢) وإما حرب أهلية داخل الدولة الإسلامية الواحدة .

(٣) وإما كحروب أقليات تتعرض لها الأقليات الإسلامية على تخوم

العالم الإسلامى أو خارجه .

وهذه الحروب تؤلف نطاقا كاملا يطوق العالم الإسلامى ويكاد يلفه لفا
من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب .

١ - الحروب بين الدول الإسلامية .

+ ليبيا × تشاد - العراق × إيران .

العراق × الكويت (+ السعودية والخليج ومصر وسوريا) .

الجزائر × المغرب (الصحراء الغربية) .

٢ - الحروب الأهلية الداخلية :

أفغانستان - نيجيريا .

لبنان - قبرص .

الفلبين (المورو) .

سرى لانكا (التأميل المسلمين) .

الصومال .

٣ - حروب الأقليات الإسلامية :

بورما (أراكان) .

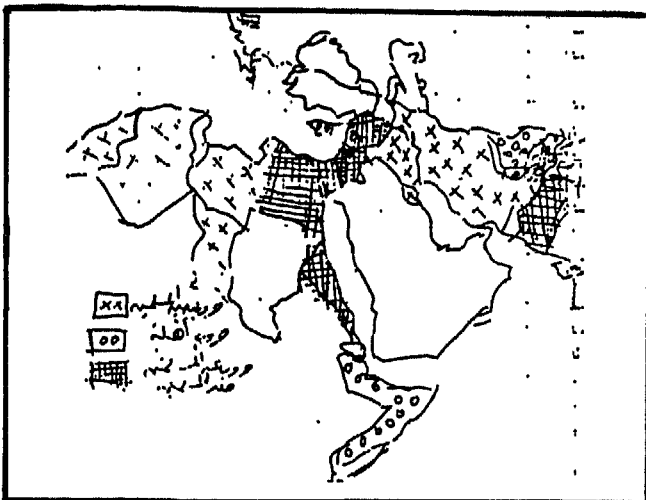
أريتريا .

٤ - حروب الدول غير الإسلامية ضد الإسلامية .

الهند × الباكستان .

الصرب × البوسنة - الهرسك .

إسرائيل × فلسطين - مصر - الأردن - سوريا لبنان .



فى النمط الجغرافى لتوزيع المسلمين :

هناك عدة أنماط لتوزيع المسلمين خارج العالم الإسلامى أو على هامشه خاصة : (كما فى جغرافية المسكن القروى) .

النمط المبعثر أو المنشور أو المتخلل ، وهو ينتشر بهدوء وتدرج داخل تضاعيف الأغلبية غير المسلمة ، دون تجمع واضح صارم ، كما فى الهند عبر الدكن .

النمط النووى المجمع ، وهو كتل صغيرة متبلورة أو براعم مكثفة ، كما فى أراكان بشمال غرب بورما ، وربما أطراف الفولجا .

نمط السندويش ، حيث يمتد الإسلام كشرائح رقيقة طويلة تفصلها عن بعضها شرائح مماثلة من غير المسلمين ، كما فى الوديان بين سلاسل الجبال ، ربما فى القوقاز .

الأغلبية العظمى من المسلمين هم من عراض الرؤوس ، والأقلية طوال الرؤوس .

فالأغلبية آسيوية ، إما مغول وإما ألبون هندو - آريين . أما طوال الرؤوس فمعظمهم فى العالم العربى الذى هو قوقازى حامى سامى + زنوج ومرتزجو أفريقيا .

المهزلة غير الملاحظة هى أن الصراع الغربى - الشيوعى السوفيتى السابق كان يحمى العالم الإسلامى من عداء وحقد الغرب الرأسمالى المسيحى . والآن زال الحاجز ، فأنكشف الحادث !



التعصب غريزة طبيعية تماما ، حتمية حتى ولو لم تكن صحية . لا حيلة لنا فيها . لماذا؟ لأنها جزء من أدوات الدفاع عن النفس فى الصراع من أجل البقاء . التعصب هو الانحياز للذات والنفس . ومن هنا فلا مفر منه كما لاضير ، إنما يصبح التعصب رذيلة حين يعنى التعصب ضد الغير ، ضد الآخر ، بلا مبرر . إذننا لتمييز بين نوعين من التعصب الحميد والخبيث .

فإذا طبقنا فى مجال الدين ، يصبح التعصب الدينى قرينة طبيعية وحتمية للتدين التعصب الدينى صنو التدين ونتج الدين ومن الكذب والخداع أن ننكر أن التعصب الدينى غريزة حتمية وكافية كالتدين وكل معالجة لمشكلة التعصب الدينى (وما يترتب عليها طبعاً من عنف وإرهاب وفتنة طائفية إلخ) تنكر طبيعية وحتمية وواقعية التعصب الدينى هى خداع للنفس ومحتموم فشلها : الصواب بعد الاعتراف بالتعصب الدينى توجيهه فى الاتجاه الصواب ، وهو عدم التعصب الخبيث ، عدم التعصب «ضد» ، لا «مع» .



مشكلة الأقليات الدينية داخل وخارج العالم الإسلامى (كما فى غيره) هى مشكلة مزدوجة أو فى اتجاهين فكما تتعرض الأقليات غير الإسلامية داخل العالم الإسلامى لضغوط معينة، تتعرض الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى لضغوط مماثلة. وليس لك أن تشكو من هذه وتنكر تلك - أو العكس. فأتت لا يمكن أن نضطهد أقلياتك فى الداخل ثم تشكو وتستنكر اضطهاد أقلياتك فى الخارج، لا يمكن الكيل هنا بميزانين أو بمكيالين وكما تدين تدان.

المفارقة المفجعة حقا أن الإسلام الذى يصلح لكل زمان ومكان، لم يعد له مكانا بالكاد فى هذا الزمان! فخارج العالم الإسلامى الإسلام والمسلمون مطاردون مضطهدون شرقا وغربا شمالا وجنوبا، فى آسيا البوذية وأوروبا المسيحية، فى أفريقيا السوداء، من سائر الأديان السماوية كما من الأديان أو اللاأديان الأرضية.

غريب جدا: وفى آسيا، الديانات غير السماوية تضطهد الإسلام والمسلمين فى كل مكان الهند الهندوكية، بورما البوذية، الصين... إلخ.

ولكن فى كل الحالات فإنهم لا يضطهدون بعضهم البعض وليس بينهم مشاكل طائفية فلا الهندوس يضطهدون، أو العكس، ولا الشنتو يضطهدون الهندوس أو... إلخ!

لا يريد العرب والمسلمون أن يدركوا أن هناك ثنائية أبدية فى الصراع الأبدى الدينى فى هذا العالم إنها «ثنائية الثنائية»: صراع - دينى أبدى بين طرفين، كل منهما ذو طرفين:

الإسلام + العرب.

ضد المسيحية + اليهود.

لا يريد العرب والمسلمون أن يفهموا أن الغرب والأوربيين ينظرون إلى

اليهود كجزء منهم سواء جنسياً أو دينياً (+ حضارياً أيضاً). إلا أنه جزء صغير مشاغب كالأبن الضال **Prodigal son** الذى سيعود فى النهاية إلى العائلة، مهما فعل فهو مغفور له، والعائلة معه إلى النهاية. جنسياً، اليهود أوروبيون (كذلك حضارياً) دينياً هم طائفة ناشز من المسيحية وخوارج أو متخلفون عن الديانة الأم أو الحق... إلخ.

المهم أن اليهودية والمسيحية فى نظر الاثنين هى متصل دينى **religious continuum** حيث الإسلام انقطع بل تناقض مطلق.

بالمثل فإن العرب والمسلمين، العرب والإسلام فى نظر الغربيين والأوروبيين هم شكل واحد أو شجرة واحدة أو «متصل واحد».

كان العالم الإسلامى كله مستعمرة واحدة عظمى وإن تعدد المستعمرون وذلك حتى الحرب الثانية.

حركة التحرر السياسى فى العالم الإسلامى تمت فى عدة موجات:

الأولى: بعد الحرب الثانية فى الأربعينيات شملت إندونيسيا وباكستان + سوريا ولبنان.

الثانية: فى الخمسينيات.

والستينيات - أفريقيا.

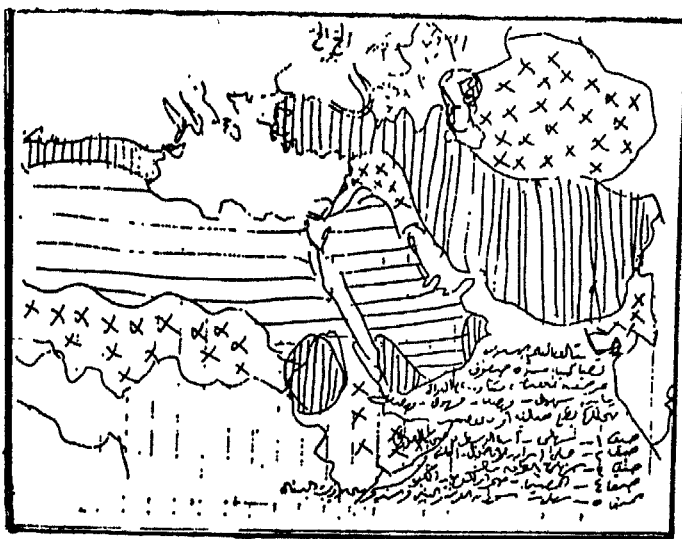
وأخيراً: فى التسعينيات جمهوريات اسيا الوسطى السوفيتية سابقاً +

ألبانيا + البوسنة والهرسك.

وضع أريتريا كان غريباً، فهى المستعمرة داخلياً فى الدولة الوحيدة التى

كانت مستقلة شكلياً فى أفريقيا.





الإسلام في نطاق أطراف العالم الإسلامي هو إسلام على الهامش على
 هامش الإسلام دينيا كما هو جغرافيا .
 ومن الغريب أن تركيا تحولت من دولة إسلامية ، دولة الخلافة ، إلى دولة
 علمانية علنا .

بعكس إيران تحولت من دولة الشاة العلمانية إلى دولة الثورة الإسلامية
والخومينية والجمهورية الإسلامية إلخ .

هذان النموذجان يشكلان الآن خيارين متصارعين أمام جمهورية
الكومنولث المستقلة الجديدة ففي كل منها عناصر شد وجذب فى كلا
الاتجاهين ولكن النمط التركى سيتغلب (الإسلام فى كل دول الكومنولث
هامشى سطحى رغم كل شيء والعودة إلى الإسلام ستكون شكلية
غالباً) .

الغريب أن أفغانستان تحولت فى عقدين من دولة دينية إسلامية إلى
النقيض - دولة شيوعية ثم عادت إسلامية دينية جدا .

هذا ما حدث لدول الكومنولث ولكن على مدى زمنى أكبر منذ القرن
الماضى أى فى قرنين تقريبا فدورة أفغانستان مضغوطة جدا جدا مثلما تأخر
الابتلاع السوفييتى لها جدا جدا لكن الأعراض واحدة جيوبوليتيكا .

عرب الجاهلية كانوا بلا دين وبلا حضارة ، وكانت دول الزراعة المحيطة
به بلا دين ولكن بحضارة .

مع الإسلام أصبح عرب الجزيرة بدين ولكن بلا حضارة وبعد الفتوح
الإسلامية قدم العرب دينهم للمستعربين والمسلمين وأخذوا منهم
حضارتهم .

وبذلك كانت الحضارة العربية - الإسلامية هى نتاج دين العرب وحضارة
المستعربين والمسلمين وهى عملية ضرب لا جمع ، لأنها تفاعل كينماوى لا
مجرد تجاوز ميكانيكى .

أما إذا عد الدين واللغة حضارة (الأدق أنهما ثقافة) . فإن العرب قدمت
الحضارة اللامادية والآخرون قدموا الحضارة المادية أو أخيرا إن شئت قدم
العرب الثقافة ، وقدم الآخرون الحضارة .

ثمة قدر متيقن من التداخل بين الإسلام والمسلمين طبيعى ، ولكن لا تترادف بينهما طبعاً تلك معادلة متناقضة وهذا هو مفتاح الموقف جميعاً .
فمن ناحية لا انفصال للإسلام عن المسلمين إذ لا إسلام بلا مسلمين (كما أنه لا اشتراكية بلا اشتراكيين) فالمسلمون هم التجسيد المادى المحسوس للإسلام . الإسلام هو الروح ، والمسلمون الجسد . الإسلام يتجسد فى جسم المسلمين ويحييه والمسلمون هم الجسم الذى يحتوى الروح ويحميها وهم التجسيم المادى المرئى الملموس للعقيدة والدين كفكرة وأيديولوجية .

[لا إسلام بلا مسلمين ، ولكن قد يكون هناك «مسلمون بلا إسلام»] ! .
أما المرادفة بين الإسلام والمسلمين كما يفعل معظم المستشرقون والغرب ، فهذا فقط من قبيل المجاز ، والاختصار ، التجاوز واليسر ولكن يمكن أحيانا أن يكون إيجازاً مخلاً ومجازاً مغرضاً .
الظاهرة الحقيقية جداً والمحيرة للغاية هى الانقلاب الذى طرأ على وضع الإسلام ودرجة تقبله أو رفضه فى أفريقيا الجديدة بعد التحرر .
قديمًا كان التحول إلى الإسلام يتم بسهولة وسلام وبإقبال شخصى شديداً من أصحابه الذين كانوا يرون فى الإسلام وسيلة للتحرر والحرية والكرامة .
بعد التحرر السياسى وخروج الاستعمار ، حدث العكس أصبح هناك عقدة نفسية ضد الإسلام ، ورفض له حاداً ومؤكداً ، باعتباره وسيلة لسلب الإنسان من حريته الشخصية .

لاشك أن أصابع الدول الاستعمارية والاستعمار خلق ذلك فى الحالين ، ولكن كعنصر ثانوى وعامل انتهازى ولكن الأصل والعيب ليس فى الإسلام نفسه .

نهاية التحول :

قديمًا وحتى قريب كان التحول من دين إلى آخر منتشرًا، وكان هذا أساس تحول الملايين في أفريقيا وغيرها إلى الإسلام .
الآن قفل باب التحول تقريبًا . لم تعد هناك تحولات بالجملة أو حتى بالقطاعي أو الأفراد .

مع ظهور الدولة القومية والوعى السياسى والذاتية والخصوصية + الحدود السياسية، والروح الوطنية أو الشوفينية لم يعد أحد يتحول بسهولة من دين لآخر . تمامًا كانت السيولة في الحركة بين البلاد المختلفة بلا حواجز ولا حدود ولا جوازات سفر، كذلك كان الدين يجول ويصول .

«الوعى الدينى طارئٌ جديد فى الحضارة الحديثة، ربما حل محل التعصب الدينى الذى كان طابع العصور الوسطى»، انتهت الحروب الدينية والطائفية، لكن بدأت عملية التجميد الدينى أى البقاء على ما هو عليه *Status quo* فلا تحول .

الإسلام والمسيحية هما وحدهما الدينان السماويان الآن، أما اليهودية فقد أصبحت فى المنزلة بين المنزلتين، وسطا بين الأديان السماوية والأرضية، وتقع فى منتصف المسافة بين الإسلام والمسيحية فى جانب البوذية والهندوكية فى الجانب الآخر.

كثير من ولايات الهند عدد المسلمين بها يعادل أو يزيد عن عدد المسلمين فى دول عربية كثيرة .

المفروض أن «دار الإسلام» هى دار السلام .

يبدو أن «عودة الإسلام» أصبحت حقيقة واقعة فى أكثر من مكان فى إسبانيا اليوم عودة إسلام حقيقة ودالة جدًا تحت ناظرينا .

ثم فى جمهوريات آسيا الوسطى (السوفييتية سابقا) هناك عودة مؤكدة بمعنى ومفهوم مختلف ، بعد طمر الشوعية للإسلام ٧٠ سنة .

فى الوقت نفسه يبدو أن ديناميات الإسلام تختل تماما فقديمًا كان الإسلام يتقلص فى تراجع نحو الجنوب فى جبهته الأوربية وجنوب جبهته الأفريقية ، الآن هناك عودة الإسلام فى أوربا خاصة فى طرفيها إسبانيا وآسيا الوسطى + هجرة المسلمين إلى قلب أوربا .

من أسوأ المسيئين إلى الإسلام بعض من أشد المدافعين عنه من أبنائه للأسف . والأصولية الإسلامية المزعومة هى بالدقة والضبط اللاأصولية الإسلامية .

الإسلام السياسى دوره ووظيفته الوحيدة خارجى لا داخلى ، وهو تحرير العالم الإسلامى فى الخارج لا الحكم الإسلامى فى الداخل .

واقع الحكم الإسلامى هو: مأساة طولها قارتان وعرضها قارة ونصف قارة .

لغز توقف الإسلام عن التوسع بعد استقلال الدول الأفريقية وغيرها .

السبب هو: هذا من مخلفات أو الأثر المتأخرة Belated effects للاستعمار الغادر .

فقد كان الاستعمار لا يحارب الإسلام علنا أو مباشرة ، ولكنه كان يحاصره بطرق غير مباشرة .

فقد كان يعطى كل الفرص والإمكانيات للوثنيين المنتصرين أو المسيحيين من فئات المستعمرة . فكانوا متأوربين و «متحضرين» بالمعنى الأوروبى وجاهزين للسلطة والحكم حين ذهب الاستعمار بينما كان المسلمون فى كتائبهم ودراساتهم الدينية لا يصلحون لشيء فعلا .

وحين تسلم المتنصرون السلطة، اتخذ التناقض الدينى شكل صراع .
سافر أو مكتوم، فأصبحت الدولة الجديدة تحارب الإسلام وتناصر
المتنصرين فتوقف الإسلام وتحول من المد إلى الجزر .



وهناك تناظر بين جبهتى الإسلام الشمالية فى آسيا والجنوبية فى أفريقيا،
أى فى آسيا الوسطى والتركستان - الفولجا والسودان الغربى والنيل .
فكلتاهما جبهة زيادة أو نطاق زيادة fringe وصله الإسلام فى القرن ١٣
أو قبله أو بعده وشهد قيام امبراطوريات وممالك ودول إسلامية عريقة باللغة
الحضارة خصوصا وسط آسيا وكلتاهما نهاية عالم الإسلام - هذا استبس وهذا
سفانا .

وكلاهما كان مستقلا تاريخيا حتى جاء الاستعمار الأوروبى والروسى
القيصرى فى القرن ١٩ وأخيرا تحرر فى أفريقيا فى الستينيات، وفى آسيا الآن
فى التسعينيات .

السود الأعظم من العالم الإسلامى يتألف اثنولوجيا من ٥ عائلات بشرية
رئيسية :

١ - العرب أولا من المحيط إلى الخليج .

٢ - الترك ثانيا من البلقان إلى بيكال، وينشطر إلى وحدتين إقليميتين :
آسيا الصغرى، وآسيا الوسطى .

٣ - الإيرانية أو الهندو إيرانية فى هضبة إيران الكبرى من زاجروس إلى نهر
السند (شاملة باكستان) .

٤ - الزنوج فى السودان الأفريقى (الغربى + الشرقى) .

٥ - الملاوية فى الهند الصينية وإندونيسيا .

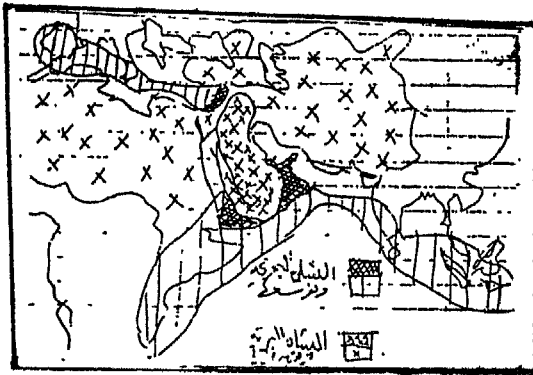


جغرافية الإسلام إذ تعنى جغرافية المسلمين ، فإنما تعنى أمة الإسلام لا «ديانة الإسلام» .

من أسباب ومسهلات شدة توسع وترامى العالم الإسلامى وانتشار الإسلام ، بيئة الجزيرة العربية الطبيعية فالجزيرة العربية تشمل بيئتين أساسيتين بيئة بحرية فى جنوب الجزيرة + الشام ، وبيئة برية قارية فى الداخل .

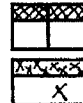
التوسع والانتشار الإسلامى الهائل قاريا وبريا وأرضيا كان وظيفة وعمل البيئة البرية الداخلية وشمل كل أفريقيا الشمالية + غرب آسيا حتى أبواب الهند والصين وسيبيريا .

التوسع البحرى بعيد المدى وغير المتصل كان وظيفة وعمل البيئة البحرية الطاردة (فى كلتا البيئتين البرية والبحرية طاردة) وشمل جنوب شرق آسيا والهند الشرقية + شرق أفريقيا الساحلى .



البيئة البحرية وتوسعها .

البيئة البرية وتوسعها .



آسيا العربية أو بلاد العرب الآسيوية ليست آسيوية أكثر مما تعد أفريقيا العربية أفريقية .

كلاهما في قارته وليست منها . كلاهما أقرب إلى بعضها البعض جدا منهما إلى قارته .

لذا يحسن أن نعتبر العالم العربي عالما مستقلا عن كل من أفريقيا وآسيا ، لا هو أفريقي ، ولا هو آسيوي (أكثر مما هو أوروبي مثلا) .
آسيا تبدأ عند زاجروس .

أفريقيا تبدأ عن «السفانا» .

لذا يحسن أن نقسم العالم الإسلامي إلى :

١- الإسلام العربي ، وتشمل العالم العربي .

٢ - الإسلام الآسيوي : ويشمل بقية آسيا المسلمة .

٣ - الإسلام الأفريقي : ويشمل بقية أفريقيا المسلمة .



اختيرت الجزيرة العربية مهذا للإسلام ليس فقط لأن العرب موصل جيد للرسالة بحكم البيئة والشخصية القومية ، ولكن تحديدا أعظم موصل جيد ، أجود موصل !



إن الاستراتيجية العظمى لأعداء الإسلام هي استدراجه وتوريطه في صدام وصراع دموي ، مسلح إن أمكن ، مع المسيحية . هذه هي استراتيجية الصهيونية واليهود .

الاستراتيجية الإسلامية المضادة ينبغي أن تعكس هذا الصراع : أن تدق

إسفينا ما بين المسيحية واليهودية وتعمل على الفصل بينهما ما أمكن وفي نفس الوقت وب نفس الدرجة التقارب بين الإسلام والمسيحية ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ الآية .

لا أحد في أوربا يريد دولة إسلامية بالقارة كلهم يعلنونها بلا مواربة .
لا مكان للإسلام تحت البرد (وإن أمكن تحت الشمس) . المطلوب نفى الإسلام المعتدل (أى المناخ المعتدل) إلى المدار . . .



الإسلام يمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسي — الهادى) ، ومن البحر إلى البحر (المتوسط إلى بحر العرب) .
منطقة المشرق العربى هى خاصرة العالم الإسلامى حيث تدور من البحر المتوسط إلى بحر العرب .



بالعالم اليوم ٢٠ مليون لاجئ ، ٨٠٪ منهم مسلمون .
إندونيسيا هى الإسلام الوحيد الذى يخترقه خط الاستواء فالإسلام لا يصل فى أى قارة أخرى جنوبا إلى خط الاستواء سواء ذلك فى أفريقيا أو أمريكا الجنوبية . فى أفريقيا هو يقطع منطقة الساحل الشرقى لعمق محدود للغاية .



سينكيانج والتبت كلتاها فى الصين كلتاها آسيا الوسطى فى الاتحاد السوفيتى السابق ، ليست صينية ولكن استعمار صينى وكما انفصلت آسيا الوسطى فى دول مستقلة ، يجب أن تنفصل سينكيانج والتبت عن الصين كدول مستقلة (داخلية) أيضا إذ لا معنى حقيقة لهذا الابتلاع .
وسينكيانج مسلمون أترك كأتراك جمهورية آسيا الوسطى الجديدة جنسا ولغة .

من المؤكد أن تعدد الأديان فى الدنيا جاء عامل صراع ونزاع وعداوات وحروب وقرون لا نهاية لها تماما كتعدد الأجناس والألوان .

تاريخ البشرية الدموى بدأ صراع أجناس وانتهى صراع أديان . بدأ صراعا عنصريا وانتهى صراعا طائفيا ، بدأ عنصرية وانتهى طائفية فما الحكمة فى ذلك ؟

الحكمة بكل بساطة هى أن تعدد الأجناس والأديان بين الجماعات والأقوام (الشعوب فالدول) كتعدد الطبقات داخل المجتمع الواحد هى أداة أساسية من أدوات الصراع البشرى فى الحياة الدنيا وهو الصراع الذى لولاه لفسدت الأرض ، هو موتور الحياة ومحاربه التقدم .



يقولون الإسلام وحضارة الغرب نقيضان لا يمكن أن يجتمعا ليكن ، يبقى أن الاثنين قد جاء كل منهما لبقى ، ولا بد من تعايشهما إلى الأبد على الكرة الأرضية . ولا يمكن نفى أحدهما من الكرة الأرضية التعايش محتوم عليهما مقدور ومقرر أما الصراع فعبث لأنه لن ينتهى ولن ينهى وجود أى منهما .



كان الغرب يتحدث عن الخطر الأحمر أى الشيوعية ، فابتكر الآن تعبير «الخطر الأخضر» إشارة إلى خطر الإسلام ! .

بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وزواله وبدء البحث عن عدو جديد قيل إنه الإسلام ، نؤكد أن الإسلام خارج المعركة والحلبة هو فقط كبش فداء مؤقت أما العدو الحقيقى الفعال فسيظهر من بين صفوف المعسكر المنتصر ، بالغرب ، وسيكون الصراع رهيب بين أمريكا وأوروبا الغربية أو اليابان أو . . ولعلمهم هناك يخدعون أنفسهم ثمن حتمية ومأساوية هذا الصراع القادم بالحديث الشفهى عن الإسلام كعدو .

الإسلام حوّل قبائل الجزيرة العربية من «أعراب» إلى «عرب» .
كبدو رعاة رحل ، لم يكن للعرب «حضارة» .
كما كان الإسلام أسرع الأديان انتشارًا جغرافيًا ، كان أسرعها إلى التوقف
عن الانتشار تاريخيًا ففى غضون قرن واحد تقريبًا ، حقق الإسلام الحد
الأقصى من انتشاره رفعت الجغرافية ولكنه توقف بعد ذلك ، وهو الآن فى
حالة تراوح بين الثبات والحركة والتمدد والتقلص .



لا قيام لعالم إسلامى كقوة أو كوحدة أو ككيان محترم فى العالم ، ما
بقيت إسرائيل فى قلبه وعلى قلبه .



الواقع أن أصبح هناك مدرستان فى علاقة الإسلام بالحضارة (= الحياة) ،
ولا تقول أصبح هناك ديانتان أو إسلامان !
الأولى : الإسلام هو الحضارة والحضارة هى الإسلام = الإسلام دين
الحضارة ، دين حضارى دين متحضر .

الثانية : الإسلام ضد الحضارة ، والحضارة نفى للإسلام وضد الإسلام ،
والإسلام دين غير حضارى ولكن دين آخرى ، والإسلام ليس دين الحضارة
لأنه ليس دين الدنيا بل دين الآخرة .



تركيا الآن وبلا موارد تعمل على فرض زعامتها على الشرق الأوسط
وانتزاعها الزعامة الإقليمية وإيران تنافسها فى ذلك طبعًا .
كيف حدث هذا ؟

هذا محاولة لملء «الفراغ» السياسى فراغ القوة الذى حدث بخروج مصر

تماما من معادلة القوة الإقليمية ومن زعامة العرب (ولا نقول من العروبة تقريبا) .

لقد فقدت مصر زعامتها ومكانتها مرتين : قوميا (العرب) وإقليميا (الشرق الأوسط) .



مطلوب إعادة رسم الخريطة السياسية للعالم الإسلامى وهذا هو القطب الثانى من قطبى الإسلام السياسى (بالمعنى الحميد) . فلا وظيفة للإسلام السياسى الفعال (الحميد) إلا اثنتين : تحرير فلسطين .

وحدة العالم الإسلامى السياسية .

أى الدولة الإسلامية الواحدة . ولكن بأى معنى ؟ هذا ما سنوضحه فى الكراسة التالية^(١) .

العالم الإسلامى فى العصور الوسطى كان هو العالم الأول .

وكانت أوروبا المسيحية هى العالم الثانى وآسيا جنوب شرقها هى العالم الثالث .

عرب الإسلام دخلوا البلاد المفتوحة فكانت معادلة التفاعل كالاتى : «ثقافة» العرب × ومقابل «حضارة» المفتوحين .

ومن تفاعل العنصرين جاءت الحضارة العربية الإسلامية المعروفة والرائعة .



من الآن فصاعدا ، يجب أن نفرق بين نوعين ومفهومين من العلمانية ،

(١) سيشكل ما جاء فى هذه الكراسة جزءا من المذكرات التى ستنتشر فى وقت لاحق .
(الناشر) .

منعاً لخلط الأوراق عمداً أو جهلاً، فكما نفرق في الاقطاع بين «الإقطاع الغربي» والإقطاع الشرقي (حيث إن الكلمة لاصقة بالتراث العربى نفسه ولا مفر من استعمالها)، نفرق بين «العلمانية الغربية» والعلمانية الشرقية، أو إن شئت العلمانية المسيحية والعلمانية الإسلامية، وكلتاهما لا تلغى الدين ولكن تفصله فقط عن الدولة، أما الفارق فهو أن ليس فى المسيحية أحكام تشريعية تترك أو يؤخذ بها، بعكس الإسلام.



قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم! هذا شعار المسلمين للمسيحيين الآن كما ينبغى. أساس التعايش السلمى بين الديانتين هو الاعتراف المتبادل، الاحترام المتبادل، الإنهاء المتبادل الرخاء المتبادل. ديانتان وعالم واحد؛ ثقافتان وحضارة واحدة. نحن معا، ووجدنا فقط الذين صنعنا الحضارة القديمة والحديثة، وشكلنا تاريخ العالم ومن عائلة جنسية واحدة هى القوقازية، وتصدينا للإلحاد الشيوعى حتى سقط. . إلخ.



إذا كانت المسيحية تعتبر اليهودية أصلها ولكنها متخلفة عنها، وتعتقد على أية حال أنهما مرتبطتان جوهريا أى أنهما «متصل دينى» فقد آن الأوان للغرب المسيحى أن يدرك خطأ هذه النظرة أو النظرية وأن يفك هذا المتصل، ويحل محله متصلا دينيًا جديداً وحقيقيا وهو «متصل المسيحية-الإسلام».

لا بد من عقد صلح تاريخى بين الديانتين الحقيقيتين الوحيدتين فى العالم - أما اليهودية فخرافة وأكذوبة وهذه هى القطبية الشائبة الجديدة فى العالم الجديد، عالم السلام الإسلامى - المسيحى .

وبالمثل يبدو الإنجيل والتوراة أشبه بجزئين من كتاب واحد أكثر منهما

كتابين مستقلين .

ليست المسيحية واليهودية ديانتان منفصلتين مختلفتين ، بل هما «نصفا ديانة واحدة» فالاختلاف بينهما ثانوى (تكتيكى) والتشابه قوى (استراتيجى) فلا يصل إلى حد التناقض قط ، أما التناقض الحقيقى فيبينهما معا وبين الإسلام إنه تناقض ضرورى واستراتيجى .

معادلة الصراع الدينى فى العالم اليوم هى :

$$\frac{1 + 2}{3} ، \text{ أى اليهودية + المسيحية ضد الإسلام .}$$

من جديد .

هنا عكس موقف أمريكا وإنجلترا منذ سنوات فى حرب الفولكلند سبب الفرق أن فى المعادلة خصم مشترك هو : الإسلام .

قد لا توجد ، بل قطعا لا توجد ، أقلية دينية فى العالم كالأقباط فى مصر ، فليس فى العالم أقلية دينية عاشت فى أعماق أحضان الإسلام ، وعمايشته حتى النخاع ، فى حنايا وظلال مجتمع إسلامى وحضارة إسلامية بالكامل وطوال تاريخه كالأقباط ، أقلية مشبعة تماما بالجو والبيئة .

ليكن أقباطنا هم همزة الوصل وأداة الربط ورابطة الصداقة بين المسيحية والإسلام كما بين مصر والغرب . وليكن هذا أيضا دور المسيحية العربية على وجه العموم . فالأقلية المسيحية فى العالم العربى خاصة ، والعالم الإسلامى عامة ، هى جسور طبيعية ممهدة وممددة بين الإسلام والمسيحية ، والغرب . لنوظف أقلياتنا لتحصين أغليبتنا .



الجغرافيا علم «الآين» .

على المسلم الذي يكتب عن العالم الإسلامى أن يضع نفسه فى مكان غير المسلم، خاصة الأوربى المسيحى، ليس فقط ليكون موضوعيًا، ولكن أيضا ليستوعب وجهة نظر الآخرين «الأخر».



أسوأ دعاية وأكبر إساءة للإسلام هى الإسلام السياسى بالمعنى الأصولى.

الإسلام السياسى إذن نوعان، كما يمكن تصنيفه :

١ - الإسلام الحميد = تحرير فلسطين أساسا + تنمية وتطوير العالم الإسلامى.

٢ - الإسلام السياسى الخبيث = الشيوعية والدولة الدينية .



هناك الآن «تكالب» على دول آسيا الوسطى الجديدة . متعدد الحوافز والأغراض والنوايا .

دول آسيا الوسطى الخمسة الجديدة بالنسبة لتركيا هى بمثابة أوروبا بالنسبة لأمريكا أى أنها الأم التى هاجرت منها وهجرتها الابنة الأبقية تحت إغراءات الحداثة والعالم الجديد . إلخ والآن عادت لتتذكر الجذور والأصول وتتقرب . . إلخ

أما إيران فتقاربها وتوددها هو من الدرجة الثانية، وفيه شىء من الفضول والردالة : العلاقة بين دول آسيا الوسطى الجديدة وكل من تركيا وإيران مختلفة عن الأخرى .

فهى مع تركيا كالعلاقة بين الدول العربية وبعضها البعض أى علاقة قومية، ولكنها مع إيران كعلاقة العرب بها (أى إيران) (أو تركيا فى هذا

الصدد) - علاقة إسلامية فقط .

الأولى علاقة وحدة قومية (+ دينية طبعاً) .

الثانية علاقة وحدة دينية فقط .



كان الغرب يحاول أن يستدرج العالم الإسلامى ليكون معه جبهة ضد الشيوعية ، على أساس أنها العدو المشترك للاثنتين .

بعد سقوط الشيوعية وزوال الاتحاد السوفييتى ، أصبح العالم الإسلامى هو المرشح الجديد كعدو الغرب الجديد . وإلى هنا لا جديد . الجديد هو أن الغرب سوف يستدرج خلفاء الاتحاد والشيوعية إلى صفه ليكون جبهة مشتركة ضد العالم الإسلامى والإسلام ، باعتبارهما العدو المشترك للاثنتين . بل لن يجد الغرب مشقة فى هذا ، ولن يحتاج الأمر إلى استدراج : سيأتى الشرق الشيوعى القديم ليلقى بنفسه فى معسكر الغرب الموحد ضد الإسلام والعالم الإسلامى .



فى العصور الوسطى ، العصور الإسلامية كان العالم المعروف المغمور ينقسم كما اليوم إلى ٣ عوالم :

العالم الأول : هو العالم الإسلامى .

العالم الثانى : هو أوروبا المسيحية .

العالم الثالث : هو الشرق الأقصى المسمى الوثنى .

[كانت أفريقيا السوداء مجرد إشاعة تقريبا ودخان أسود ، وعملياً خارج المعمورة كالأمريكتين وأستراليا] .

الإسلام اليوم فى فرنسا هو الديانة الثانية بعد الكاثوليكية (وقبل البروتستانتية واليهودية).

عدد هم ٦,٥ مليون = ١١٪ من سكان فرنسا .

تكوينهم : ٢,٥ مليون فرنسى .

٤ مهاجرين عرب ومسلمين .

المسلمون الفرنسيون جنسية تكوينهم الأصلى كالاتى :

٧٠٠ ألف جزائرى اختاروا الجنسية الفرنسية .

واستقروا بفرنسا بعد استقلال الجزائر ١٩٦٢ .

٣٠٠ ألف فرنسى حقيقى .





مذكرات في
الجغرافيا السياسية

٥ | الفصل الخامس العالم الغربي..

الفصل الخامس

٥

العالم الغربي



العالم الغربي

١- أوروبا

ومرت صراعات البشرية من أجل القوة والسيطرة العالمية في ٦ مراحل:

١ - فإلى ما قبل الإسكندر الأكبر كانت السيادة للشرق البعيد والقريب،
أى آسيا عامة، على الغرب وأوروبا (عصر آسيا).

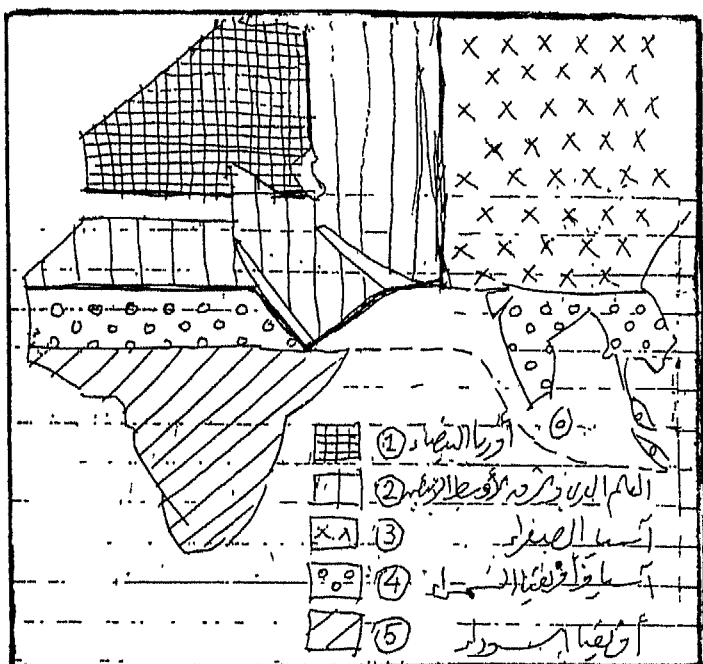
٢ - منذ الإسكندر تغلبت اليونان على فارس وأوروبا على آسيا ثم أنت
روما وامبراطوريتها لتؤكد هذا التوازن الجديد. واستمر هذا حتى ظهور
العرب.

٣ - مع العرب والإسلام تغلبت عرب آسيا والشرق الأوسط على أوروبا
وآسيا وحقت السيادة العالمية وانتزعتها من الجميع. وظل تفوق العرب
والشرق على أوروبا والغرب حتى نهاية الصليبيات حيث تحدد نقطة الندية

فالصليبيات كانت تحدى الغرب وأوروبا للعرب والشرق ، وكان هجومهم بينما العرب على الدفاع دليل قوة ، ولكن صمود العرب حتى انتصارهم كان دليل التفوق والنتيجة الصافية تعادل قوة وندية عصر العرب .

٤ - منذ نهاية الصليبيات بدأ ميزان القوة يميل لصالح أوروبا والغرب على الشرق القريب والبعيد حتى كان طرد العرب من إسبانيا + طرد الروس لرعاة المغول والتتار وسيطرتهم التقليدية السابقة وانتقال القوة كاملة ونهائيا إلى الغرب وأوروبا .

٥ - منذ طرد العرب + الكشوف الجغرافية + الاستعمار بدأت سيطرة أوروبا والغرب على الشرق وآسيا والعالم كله (عصر أوروبا) .



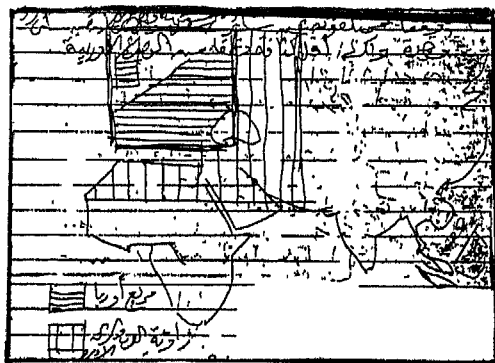
كانت أوروبا البيضاء في صراع دموي ألفى طوال تاريخها مع بعضها البعض أعدى الأعداء الآن يتقاربون ويتحابون ويتطلعون إلى دولة واحدة الولايات المتحدة بعد إن لم يكونوا يرون إلا الاختلافات والخلافات بينهم ، لم يعدوا يرون إلا التشابهات والروابط بينهم ! ما من محبة إلا بعد عداوة !

حسنا ، كانت أوروبا البيضاء المسيحية طوال العصور الوسطى المظلمة في حرب ظالمة وعداء غير منطقي مع العالم العربي والشرق الأوسط - المسلمين ولا يزال الثأر والتعصب والحقد والكراهية بدرجات متفاوتة .

- ما من محبة إلا بعد عداوة !

هذا ما يحدث الآن في أوروبا بعد حروب ألفية (وبالآلاف) بدأوا يتقاربون ويدركون وحدة أصلهم وكيانهم .

يوما ما سوف تتسع الدائرة ليكتشف الأوروبيون أن أقرب الشعوب غير الأوروبية إلى الأوروبيين هم العالم العربي والشرق الأوسط، وإنهم جميعا قوقازيون، بيض، متحضرون، مختلفون عن سائر شعوب الأرض أى وحدة ولكنها أقل كثافة وعمقا من الوحدة الأوروبية.



المربع + الزاوية يؤلفان معا مربعا أكبر هو مربع القوقازية : وهذه هى الوحدة الأساسية فى شمال غرب العالم القديم ، وكل ما خارجه مختلف بشريا وجنسيا وحضاريا وثقافيا عن الاثنين .

الضلع الرأسى من الزاوية = أوراسيا .

الضلع الأفقى من الزاوية = أورافريقيا .



لن يعتبرنا الأوروبيون والغرب يوما ما منهم أو مثلهم على الإطلاق . وهذا سليم ، وغيره خطأ . ولكن التقارب بيننا يتم بالتدريج الوئيد ، والأن بتسارع : الفروق موجودة وستبقى . لكن المشابهات ستظهر أكثر وأكثر الآن الفروق التى بيننا وتفرق بيننا تبدو أكبر من المشابهات التى تجمعنا وتجمع بيننا فى المستقبل القريب ، سيدرك الطرفان والجميع أن الفروق التى تفصل بيننا أقل من المشابهات التى تجمع بيننا .

ليس هذا فحسب : سيدرك الجانبان أن الفروق التى تفصل بيننا وبينهم فى ناحية وبين بقية العالم فى ناحية أخرى ، أقوى من المشابهات التى تجمعنا وإياهم مع سائر العالم .

سيدرك الجميع ، أن أوربا والغرب أقرب إلينا نحن المصريين والعرب منهم إلى بقية العالم ، والعكس صحيح : نحن المصريين والعرب أقرب إلى الأوربية والغرب منا إلى أى أحد آخر فى العالم وسائر العالم .

كما أن العرب ليسوا شيئا واحدا ، فإن الغرب غربان ، وأوربا وأوروبات . يقول الأوروبيون ليس العرب شيئا واحدا ، شيء أعداء . إلخ .

حسننا الغرب أيضا ليس شيئا واحدا ، بل غربان الغرب الأدنى أو الغرب الأوربى أى أوربا والغرب الأقصى أو الغرب الأمريكى أى أمريكا .

أما أوروبا نفسها فأوروبا عدة أو عدة أوروبا : أوروبا الغربية ، أوروبا الجنوبية ، أوروبا الشرقية أوروبا الوسطى شمال أوروبا (سكانيا) .
الغرب الأوربي هو بمثابة المشرق العربى ، والأفريقى المغرب العربى .



كما أنه ما من محبة إلا بعد عداوة ، فكذلك ما من مساواة إلا بعد صراع .
كل جماعة تفضل نفسها على الآخرين ، وتعتبر نفسها الأرقى والأسمى وترفض أن تعترف بالآخرين أنادا متساوين معها ومساوين لها إلى أن يفرض الآخرون أنفسهم عليهم بالقوة والحرب والصراع ، حتى يتقاربوا ويتصالحوا صلح الشجعان وهذه قصة أوروبا بشعوبها المختلفة داخلها وما كارتاة الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا مؤخرا إلا آخر وأحدث تجسيد لهذه الحقيقة ولهذا القانون .

الآن الدور والدورة على العرب المسلمين والإسلام عامة . فعلا أوروبا والغرب تبحث الآن عن عدو (وليس هذا توهم أو شذوذا — هو طبيعى جدا فى التاريخ والحياة) .

نفس القضية مع أوروبا + العرب ، لا العرب ، ولا أوروبا ، تتنافس مع الأخرى على صدارة العالم سواء فى الماضى أو الحاضر . كلاهما يعلم ويعلن أن الأولوية لأوروبا والغرب الآن وإلى الأبد لكن العرب تشعر أنها الرجل الثانى فى العالم ، وتريد اعتراف أوروبا بها على هذا الأساس ولكن أوروبا ترفض تكبرا ومكابرة ولكن سيأتى اليوم الذى تدرك فيه أوروبا صحة وشرعية الادعاء العربى وستقربهم إليها على هذا الأساس .

مهما تضاعل العالم وانكمش وتقارب وتجانس حضاريا وثقافيا وطريقة حياة ، مهما أصبح العالم كله أمريكا عظمى أو قرية أو بيئة (قرية أمريكانا)

ستظل الشخصيات الإقليمية والطوائع القومية والهويات والكيانات الوطنية قائمة صلبة متفردة بكل خصوصياتها وذاتيتها . . إلخ .

لماذا؟! لأنه حتى لو تجانست كل هذه القشرة الحضارية الحياتية تماماً، فستظل النواة الدفينة الكائنة تحت الجلد وحتى العظم، وهي الجنس، ستظل الناس والشعوب أجناساً مختلفة وألواناً متضادة إلخ مهما زادت شفافة الغلاف الحضارى، بل كلما زادت كلما تأكدت وبرزت إلى السطح النواة الجنسية الأنثروبولوجية الاثنية .

فقط حين يصبح الجنس البشرى كله جنساً واحداً متجانساً موحداً فى صفاته الجسمية، يمكن أن يختلف الأثر والموقف .

لهذا بالدقة، فرغم أن الشرق تمثل وتلبس كل حضارة الغرب الآن، فإنه لا يزال الشرق . . لا زال شرقياً فى حضارة غربية ولا زال الشرق شرقاً والغرب غرباً رغم أنهما التقيا .



فعلاً إن أوروبا اليوم تتأمرك ولكن ليس بالمعنى الحضارى والمادى والمعنوى والثقافى الشائع بما فى ذلك السطحيات التافهة كالهامبورجر والجنيز . . . إلخ، وإنما بمعنى سياسى جولوليتكى خطير وحقيقى . إن أوروبا تتحول إلى الولايات المتحدة الأوربية كنظير وعلى غرار الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة قارة وقارة دولة .

إنها ليست نهاية التاريخ، ولكن نهاية الجغرافيا . !



بالروح الصليبية المتعصبة الأوربية المعهودة هناك حمى مسعورة وسعار وحدوى وحقيقى يحتاج أوروبا والأوربيين الذين يريدون فجأة أن يقتلعوا أنفسهم من تاريخهم العدائى المأساوى الرهيب، تماماً كذلك الشعور

والحمى التى اجتاحت الأمريكان المؤسسين لاقتلاع أنفسهم من أوروبا وجذورهم بها ، ثم لتجاهل اختلافاتهم الجنسية واللغوية والدينية إلخ ، إلى أن كان الاستقلال والدولة الجديدة .

وتماما تماما ، وإن بالمقلوب ، فكما كان الأمريكان الأوائل يسعون إلى الدولة الجديدة لكى يستقلوا عن الطغيان والظلم والتبعية والسيادة البريطانية الغاشمة ، فإن الأوروبيين اليوم يسعون إلى الوحدة الأوروبية لكى يستقلوا عن وصمة الوصاية والحماية والتبعية والتخلف والخضوع لأمريكا (الولايات المتحدة) وغطرسها المكشوفة والوقحة .



أوروبا هى القارة الوحيدة تقريبا التى تمتاز بالتجانس الطبيعى جغرافيا . فكلها مناخ واحد بارد تقريبا .

بينما سائر القارات كل واحدة منها قمة فى التنافس الطبيعى آسيا أعلى الجبال والمرتفعات وأوطىء الأرضى ، أغزر الأمطار والصحارى اكتف الغابات والأراضى الجرداء أفريقيا نفس الشئ ، أمريكا الجنوبية وكذلك الشمالية حتى استراليا .

إلا أوروبا ! السبب ضالة المساحة نسبيا + الموقع الفلكى الواحد تقريبا .



الصراع بين أمريكا وأوروبا الآن على القوة فى العالم مداره ومحوره الخفى الآن هو : الروسيا فبعد سقوط الاتحاد السوفييتى المشين ، (والذى هو ليس بنصر حقيقى لأمريكا ، وإنما غلطة تاريخية سفيهة) وزوال التهديد السوفيتى

لأوروبا الغربية ووضوح هدف أمريكا في كبت أوروبا عن الارتفاع إلى القوة العالمية ، أصبح الصراع الأوربي الأمريكي واضحاً ومؤكداً أوروبا تريد الإفلات من قبضة أمريكا والتبعية الأمريكية وأمريكا تريد كبح وكبت أوروبا وإبقائها تحت سيطرتها .

في هذا الصراع الجديد أصبحت ورقة روسيا هي الهدف وضمان
الرابح : أوروبا تريد أن تجتذب إليها روسيا كمتهم البيت الأوربي طبعاً .
وأمريكا تريد روسيا كحليف خاص لها خارج المفهوم والإطار الأوربي
مثلاً كانت العدد الخاص سابقاً الصراع هو: من منهما سيرث روسيا في
جيبه الخاص؟ .

أوروبا وأمريكا تلعبان معاً لعبة تواطئ خبيث حيث ضد البوسنة والهرسك .
فكل منهما تترك مهمة التدخل للآخرى ، أمريكا تتركها لأوروبا باعتبارها
مشكلة أوربية وأوروبا تتلصقاً بزعم عدم اتفاق أعضائها ولترك الفرصة لأمريكا
باعتبارها القيادة العليا ! .

ولكن الاثنيتين يتباريان في التسويف والتلكؤ عمداً بأمل أن يفرض الأمر
الواقع نفسه وهو انتصار الصرب ، حتى لا تقوم دولة السلاطين في قلب
أوروبا .



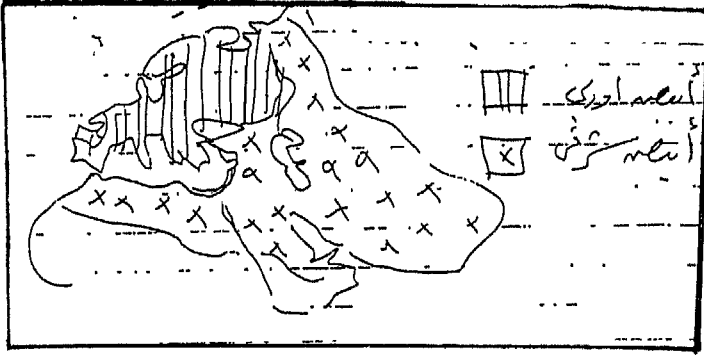
واضح أن أوروبا والغرب في بحث دائم عن عدو ما . وتاريخ أوروبا
الحديث هو سلسلة متعاقبة من العداءات الموجهة .

في القرن الماضي anti semitism .

بعد ذلك anti Communism .

الآن anti Islamism .

كما نميز فى الأصوات بين التينود الغربى والشرقى بمعنى أن الأول هو الأوبرا المعروفة ، والثانى هو التينود الطبيعى غير المستعار، كذلك ينبغى أن نميز فى ألوان البشرة والأجناس بين «الأبيض الأوروبى» «والأبيض الشرقى» وهو الأبيض القوقازى غير الأوروبى ، أو الأبيض القاتم أو الكابى . وهذا يشمل نطاقا دائريا كاملا حول نواة أوروبا البيضاء .



الروسيا وتركيا السلاف والأتراك ، هما حلقتا الوصل بين الجنس الأبيض والأصفر. فالسلاف الروسى بيض ولكن منهم فى أقصى الشرق بعض ملامح مغولية خفيفة بالتدريج .

والأتراك فى أقصى الغرب (الأناضول) مغولا أصلا ولكنهم بيض وفيهم ملامح أوربية فوقازية قوية جدا والحلقتان معا هما نواة أوراسيا بالمعنى الأنثروبولوجى الجديد .



العالم الغربى

٢. أمريكا

الولايات المتحدة (وهى كما قلنا مرارا بريطانيا القرن ٢٠) تقع اليوم على وتمر بنفس المرحلة التى كانت عليها بريطانيا منذ أواخر القرن ١٩ (حوالى ١٨٧٠ / ١٨٨٠ وما بعدها حتى الحرب الأولى) حيث كانت تتربع على قمة القوة وقوة العالم بلا منافس وتبدو مؤبدة هناك ، بينما كانت تتراجع وتتصدع من الداخل وتنحدر بالتدريج غير المنظور، إلى أن جاءت ضربة الحرب الأولى فكشفت البطن وضربت نصف قوتها ثم انتهى النصف الباقي فى الحرب الثانية ، وتم السقوط .

الآن تصارع الولايات المتحدة للبقاء على القمة ولكن الانحدار تحت أقدامها سار وصارم والانكشاف العام تم الانزلاق النهائى قريب جدا فى

انتظار أى ضربة من المنافسين الجدد (أوروبا ألمانيا ، اليابان) .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ومنتصف القرن ٢٠ انتقل مركز القوة نهائيا من أوروبا إلى أمريكا (الولايات المتحدة) لتصل فى النهاية وحاليا إلى السيطرة والهيمنة على العالم كله بما فى ذلك أوروبا والغرب ، أى انتقل كل شىء من العالم القديم إلى العالم الجديد ، ومن أوروبا إلى أمريكا ، خاصة بعد زوال الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية وحرب الخليج الثانية (عصر الولايات المتحدة) .

وأمریکا تختلف عن أوروبا الرأسمالية فى أنها قمة الرأسمالية والرأسمالية العليا العاتية «السوبر رأسمالية» .

المهم أنها تختلف عن أوروبا فى أنها وإن كانت قمة الطبقة المطلقة العاتية إلا أنها أيضا قمة الحراك الاجتماعى والسبولة الطبقة المطلقة ، الفارق بين المليونيرات والصعالبك رهيب لا مثل له فى العالم الرأسمالى ومع ذلك ممكن لكل صعلوك أن يحاكى وبالفعل يصبح مليونيرا . هذا بالضبط هو الحلم الأمريكى وهو ما يميز أمريكا عن أوروبا سليلة الإقطاع والرجعية والطبقة .

أمريكا أول دولة امبراطورية على مستوى الكوكب حجمها هى أول حجم يتناسب مع حجم الكوكب ككل .

أما قبلها فكانت أكبر امبراطورية (بريطانيا) حجمها تناسب مع مقياس عالمى فقط (أو دولى) أى جزء كبير من الكوكب ، لكن ليس الكوكب كله .

وأمريكا تختلف عن كل دول الاستعمار السابق ، لا فى أنها فقط تنكر أى علاقة لها بالاستعمار ، ولكن أساسا فى أنها أول مستعمر وقع متبجح بصورة علنية فاجرة فالمستعمرون قبلها كان يعرفون أنهم لصوص ولكن لا يدعون

حقاً في ذلك ، إلا أمريكا فإنها لأول مرة تعلن بكل قحة أنها لصة ولها حق اللصوصية .

والاستعمار العالمي عاد إلى الوجود في صورة أخطر جداً مما كان في القرن ١٩ وقبل الحرب الثانية هو الاستعمار الأمريكي ، وهو استعمار عالمي تاماً ولأول مرة .

وهو أول استعمار «عن بعد» Remote - Imperialism ولم تعد هناك دولة مستقلة واحدة في العالم أجمع ، الكل تابع وخاضع للاستعمار الأمريكي الأجدد . العالم الآن برمته ولأول مرة مستعمرة أمريكية واحدة .

يقال في أمريكا إن لوس أنجلس تسبق أمريكا دائماً (بقرن بنصف قرن ؟) تاماً كما قيل عن باريس في أوروبا حيث تسبقها بقرن على الأقل دائماً .

الإدارة الأمريكية **administration** تعبير أمريكي بحث ، يقال عن الحكومة والنظام الحاكم وهذا شأنهم .

الجديد والطريف أنه الاستعمار والهيمنة الأمريكية الجديدة ، وهي وحيدة على قمة العالم ، هو المفهوم الجديد «للإدارة الأمريكية» ، الإدارة الأمريكية للعالم ! .

وديموقراطية أمريكا المزعومة التي تتباهى بها على العالم حتى على أوروبا وتعتبرها مثالية وتجسيد المثالية الأمريكية المدعاة ، فعلاً كانت سابقة لعصرها في وقتها ، ولكنها الآن متخلفة تماماً عن عصرها تنتمي إلى القرن ١٨ وتحتاج إلى نسف لا أقل !

ويبدو أن دور روسيا الذي اختارته لنفسها بعد انتحار الاتحاد السوفيتي وللمشاركة الشكلية مع أمريكا في النظام الجديد (تعلقاً بحبال الهواء) هو أن تعمل «كوكيل لأمريكا» فيما كان الاتحاد السوفيتي سابقاً ، أى كمساعد أول

للسيد الأمريكي العالمي .

ويبدو كذلك أن النظام العالمي الجديد وارد أمريكا يعتمد على اعتماد مجموعة من الوكلاء الإقليميين الكبار في كل منطقة رئيسية من العالم - وكلاء وأمريكا تشرع لنفسها فقط علنا وقانونيا الإرهاب الدولي العالمي ، حيث قررت محكمتها العليا حق أمريكا في اختطاف ومحاكمة أى أجنبي تطلبه .

هذا بالضبط يعنى أن أمريكا بدأت تعامل العالم الخارجى كما تعاملت مع الهنود الحمر فى الداخل : الإبادة والإرهاب الرسمى الشرعى !!

لقد بدأت الحرب الباردة بالفعل بين شاطئى الأطلسى ، بين أوروبا وأمريكا ، حلفاء الأطلنطى لقد انتقلت الحرب الباردة من الشرق - الغرب أو الشيوعية الرأسمالية إلى داخل الغرب نفسه الغرب - الغرب وداخل الرأسمالية والرأسماليين القدامى خاصة فرنسا (+ ألمانيا) وأمريكا (+ بريطانيا) .
أصدقاء الأمس سيصبحون أعداء الغد بمثل ما قد أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم ! .

أمريكا هى «سرطان العالم السياسى» لا تنطبق صفة السرطانية على شىء فى الدنيا كما تنطبق على أمريكا . كل خصائص ومشخصات وأعراض السرطان تنطبق عليها كما لا تنطبق على أى شىء آخر سوى الجسم الإنسانى :

إفراط النمو، والتضخم المرضى القاتل الذى يهدد سائر الجسم (العالم) في صميم وجوده .

وطريقة الحياة الأمريكية كما يسمونها ما هى ؟ هى الهستيريا ! الحياةية طريقة حياة أمريكا هى هستيريا دائمة شعار مستمر ، مركز ومصدر ومحرك

وموجه هذه الهستيريا الوطنية هو الإعلام : الإعلام الأمريكي هو قمة طريقة الحياة الأمريكية المزعومة إنه الجنون والهستيريا المسموعة والمقروءة والمرئية . . إلخ والشعب الأمريكي قطيع قائد الإعلام ، وهو حاكم أمريكا الحقيقي حتى الإدارة والحكم ينقاد لموجات الإعلام العاتية ويخضع لإشعاعاتها الضارة إن عفوا أو عمدا .

ولما كانت إسرائيل هي التي تحكم الإعلام الأمريكي الذي يحكم العقل الأمريكي فلإن إسرائيل هي الحاكم النهائي والأخير والحقيقي للدولة الأمريكية .



ولولا خطر الهيمنة والتسلط والاستعلاء الأمريكي لما توحدت أوروبا سياسيا . . . إنها رد فعل أكثر منها منطقا طبيعيا إنها سياسية أكثر منها جغرافية وإن فرضت نفسها فى النهاية كجغرافيا سياسية ولذا فإنها كمعظم حقائق وواقع الجغرافيا السياسية اصطناعية أكثر منها طبيعية أى «غير جغرافية» ولكن على الجغرافيا أن تتعامل معها وإن لم يكن عليها أن تعترف بها .

ملاحظة هامة جدا وجديرة بالتفكير منذ نشأتها وأمريكا تدعى المثالية السياسية فى كل مجال وشئ هم أشرف وأطهار وأنبياء العفة السياسية فى العالم وعبر التاريخ . . إلخ وقد «فلقوا» العالم بحديثهم وحواديتهم عن حقوق الإنسان وعدم الاستعمار و . . و . . إلخ والعكس تماما تماما هو ما يفعلون ولكن ما من قوة على الأرض يمكن أن تقنعهم بذلك .

وأصبح من الواضح تماما أن العالم كله وأمريكا يتبادلان الحقد والكراهية علنا ، أمريكا تلعن العالم الوقح الحاقد عليها ، والعالم الذى لا يخفى كرهه

لها ينظر بفارغ الصبر لحظه الشماسة العظمى فيها حين تسقط وتتدحرج
وساعتئذ ستصرف أمريكا ضد العالم كالحیوان الكاسر الجريح .
لقد صار بين أمريكا والعالم «تاربايت» .

أمريكا الآن فى حالة «سعار قوة» سعار سياسى مجنون ، شبه جنون القوة
وجنون العظمة وقد نسجل مزيدا من الانتصارات (اقرأ العدوانات) العسكرية
فى مناطق مختلفة من العالم عبر السنوات القادمة ولكن هذا السعار سيكون
مقتلها فى النهاية .

الغذاء الداخلى الجديد لأمريكا الولايات المتحدة لم يعد الكاريبى ولا
أمريكا اللاتينية ، وإنما الوطن العربى والعرب أصبحوا لعبة أمريكا المفضلة
ومستعمرتهم الخصوصية جدا ، وعليهم وحدهم بمارسون قيادتهم المزعومة
للعالم .

وأمريكا دولة الشذوذ السياسى العظمى فى العالم كيف ؟

١ - هى الوحيدة التى توسعت بالشراء أحيانا .

٢ - هى الوحيدة التى تشتري تبعية سياسات الدول الأجنبية بالشراء أى
بالمساعدات والمنح المادية ، أى تشتري السياسة بالاقتصاد .

٣ - هى الوحيدة التى تدعى المثالية السياسية ، رغم أن واقعها هو
التقيض المطلق تماما .

وكيان أمريكا ذاته وكله فيه المادة الخام النموذجية للثورة الشيوعية كما
حددها ماركس - وهى أرقى الدول الرأسمالية تطورا وتقدما إذن هى المرشح
الحقيقى للشيوعية الناضجة القادمة فشل الاتحاد السوفيتى سببه أن
الشيوعية فيه قامت فى المكان الخطأ والزمان الخطأ - شبه إقطاعى رأسمالى
بادئى فلننتظر !

يبدو أن ما كان يقال عن ألمانيا واليابان استراتيجيا سيقال عن أمريكا قريبا ، ولكن بالمعكوس ! فألمانيا واليابان عملاق اقتصادى وقزم سياسى كما قيل ، بينما تتحول أمريكا تدريجيا إلى عملاق سياسى وقزم اقتصادى . هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة أم انتصار الحضارة ؟ .

ما الذى دهم العالم ؟ ! لم يحدث قط من قبل أن ظهرت قوة إمبريالية طاغية مستبدة مفتونة بقوتها ومجنونة بالقوة والخطورة العلنية على العالم كله كما حدث من أمريكا اليوم . وفى الوقت نفسه لم يحدث قط أن استكان العالم كله وسكت ورضخ وخضع فى هوان وذل حقير كما يحدث الآن .

كانت الستينيات روح الصراع والتحدى .

والآن التسعينيات موت الروح وروح الموت ؟ .



الصراع أبدي دائم طوال التاريخ على كل المستويات ومتعدد الأبعاد والجوانب .

صراع أجناس + صراع شعب + صراع دول وقوميات + صراع طبقات + صراع فردى بحت .

والكل يتداخل وإن برز أحده فى حالة بعد أخرى .

والذى حدث ليس نهاية التاريخ ، وإنما «نكسة التاريخ» . نعم لقد انتكس التاريخ وتقهقر إلى الوراء قرونا أو عقودا على الأقل .

لكن هكذا هى حركة التاريخ طوال التاريخ تقدم فتقهقر ، خطوة إلى الخلف ليقف خطوتين إلى الأمام فلا بأس .



٣- روسيا

انتهت الحرب الباردة بين الغرب والشرق بسقوط السوفييت ، فبدأت الحرب الباردة بين الغرب والعالم الإسلامى (وعموماً العالم الثالث!) الحرب الباردة مستمرة ولكن بصورة أخرى ومع عدو جديد .

ما حدث للاتحاد السوفييتى (المرحوم) سيحدث لأمريكا: السقوط من الداخل ، وإعلان الاستسلام والهزيمة .

مع الفوارق طبعاً .

كيف؟ كما أعلن الاتحاد السوفييتى عجزه عن الاستمرار فى الصراع والتحدى الثنائى واستسلم للانزلاق إلى أسفل خارج الصراع وتحت أمريكا بها فستعلن أمريكا يوماً ما عجزها عن الاستمرار فى قيادة العالم الأحادية

وإدارة شئون هذا الكوكب وحدها ، وتعلن الانسحاب من الزعامة والقيادة والصدارة لمن يريدونها وهنا ستظهر القوى الجديدة (المتحدية الآن في صمت).

هناك مزيدة بين أوروبا وأمريكا على اجتذاب روسيا هناك تكالب على روسيا .

في ميزان القوة العالمية والإقليمية نصف ما فقدته روسيا بزوال الاتحاد السوفيتي ، تحول أوتوماتيكيا لحساب تركيا فكل آسيا الوسطى تقريبا خرج من عباءة الاتحاد السوفيتي لتدخل تحت عمالة تركيا .

تركيا هي أكبر الكاسبين في عملية الوراثة الإقليمية في المنطقة ، أكثر من إيران قطعا ، وطبعاً من مصر التي خسرت في الحقيقة ولم تكسب قط .

بداية نهاية الاتحاد السوفيتي — نقولها للمرة الألف بعد الملون! كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ . منذ ذلك التاريخ أصبح خطر الاتحاد السوفيتي في الصراع العالمي مع أمريكا في النازل ويدها السفلى المهتزة المهترئة المنكسرة بل المكسورة .

ولذا من السفه النظرية المجنونة إن السوفيت هم الذين خدعوا مصر والعرب واستدروهم إلى الحرب والهزيمة حتى لو كانت نواياهم غير طيبة (ومن المسلم به أنهم لم يكونوا معنا قط ١٠٠٪ ، ولا حتى ٥٠٪ وكانت إسرائيل عندهم فوق العرب قطعا ، وأهم وأبقى وأقرب) .

وعلى حالق النهاية كان طرد السوفيت من مصر والمنطقة سنة ١٩٧٣ ، وسقوط مصر في التبعية الأمريكية والركوع لإسرائيل .

في نفس الاتجاه والخط كانت حرب أفغانستان (فيتنام الروس) .

وأخيرا كانت حرب الخليج والخيانة السوفيتية والتواطؤ مع العدو الأمريكي .

وفى النهاية كان الاستسلام العلنى لأمریکا على يد الخونة جورباتشوف يلتسين نهاية النهاية .

يثبت التاريخ أن الروس من أشد المتطرفين تطرفا وغلوا فى التطرف ، وخطأ بالتالى . فلقد تطرفوا مرتين ، وفى كل مرة أخطأوا بيقين :

١ - فى الثورة الشيوعية ١٩١٧ تطرف رهيب مخيف .

٢ - فى الثورة على الشيوعية ١٩٩٢ تطرف رهيب رهيب مدمر .

ولولا هذا التطرف وذاك ، لكانت الثورة الأولى قد سارت وصححت نفسها وحقت غلواءها إلى اشتراكية حقيقية معتدلة ، كانت ستستمر إلى الآن وإلى الأبد .

قطعا ، حصار وضغط الغرب العدوانى الرهيب لم يتح الفرصة للتطور الداخلى للشيوعية ، بل فرض عليها التجمد والمزيد من التجمد ، بل والمزايدة والمزيد من المزايدة فى التطرف الأيديولوجي .

كما انتهت الحرب الساخنة الثانية باستسلام النازية للحلفاء استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط ، استسلم الاتحاد السوفيتى فى الحرب الباردة للغرب استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط لا فرق مطلقا !

الفارق الوحيد والمذهل هو أن استسلام النازية جاء نتيجة لهزيمة عسكرية كاملة ، ولكن استسلام السوفيت جاء من موقع القوة القوية الكاملة ودون رصاصة واحدة .

إن كان استسلام وانتهاء الاتحاد السوفيتي هو أكبر لغز في التاريخ، كما هو أكبر هزيمة في العالم ونتائجها السياسية العالمية في الاستراتيجية والسياسة العالمية تفوق نتائج الحربين العالميتين الأولى والثانية معاً، وكانت بحاجة إلى حرب نووية شاملة على الأقل لكي تتحقق !

إن جريمة تدمير الاتحاد السوفيتي هي أكبر جريمة سياسية في التاريخ، وأكبر حادثة انتحار جيوبولتيكي في الجغرافيا السياسية، وهي جريمة جنونية بحته لأنه ليس لها مبرر حقيقي بالصورة التي تمت بها فقد كان هناك بدائل كثيرة للتغيير والتفكيك بالتخطيط وبالتدريج .

فعلا تسمية كومونولث لورثة الاتحاد السوفيتي اسم على مسمى إلى حد، فهي وإن كررت الكومونولث البريطاني اسما، فهي مثله تهدف إلى احتفاظ المتروبول السابقة هيمنة ما على الآخرين لقد تحولت جمهوريات الاتحاد السابق من «مستعمرات» إلى «مجمعات»؛ وبدلاً من الضم والسيادة، حلت الوصاية والتبعية .

والقرن العشرون هو قرن الاتحاد السوفيتي ملحمة ومأساة: ابتداءً بالثورة الشيوعية ١٩١٧ التي بنت الدولة الجديدة ومروراً في منتصف القرن بالحرب الثانية التي خلقت الدولة العظمى ثم انتهت بانتهاء الشيوعية والدولة ١٩٩١ منحني قوسي كامل عبر القرن .

لم يكن هناك أغرب ولا أخطر من الثورة البلشفية ١٩١٧ إلا انهيار الثورة والدولة ١٩٩١ .

[انقلاب ساخر: الثورة الشيوعية أصبحت تعد الآن الثورة المضادة، والانقلاب الرأسمالي ١٩٩١ أصبح هو الثورة!] .

ما حدث من تغير فى العالم السياسى اليوم أكبر من ثورة وانقلاب وهو أضخم من نتائج حرب عالمية ثالثة وأضخم من نتائج الحربين العالميتين الأولى والثانية .



I.. C.S.

Independent Commonwealth states

هى تسميه ورثة الاتحاد السوفييتى دول آسيا الوسطى الجديدة تعد عمليا كمجاهل وسط آسيا ، على غرار مجاهل وسط أفريقيا فى القرن الماضى .
الآن فقط بدأت الكشف الجغرافية ! هذا خلف الستار الحديدى وهذا وراء الصحراء الكبرى .

هل تصبح العلاقات بين ورثة الاتحاد السوفييتى السابق أشبه بامبراطورية مع إيقاف التنفيذ؟ هل تحل الوصاية الروسية محل «التعية لروسيا» .

هل انتهى ما كيندر تماما بعد سقوط الاتحاد السوفييتى المخزى ، منتحرا راکعاً؟ هل سقط الهارتلاند إلى الأبد فى سلة مهملات الجغرافيا؟

الموقف معقد جدا والاستسهال سهل ، ولكنه مهلك علميا لماذا؟ لأن ما حدث هو خلل فى التطبيق وفى إدارة الاتحاد السوفييتى وشرق أوروبا إلخ وليس بالضرورة خللا فى النظرية الجيوستراتيجية خلل فى الأيديولوجيا ربما ، ولكن ليس فى الجيوستراتيجية . ثم إن الفرصة قائمة وصحيحة إذا اجتمع الهارتلاند + شرق أوروبا ، أصبحت الامبراطورية العالمية على مرمى البصر .

ثانيا ، هل تنتقل نظرية ماكيندر وتهاجر شرقا إلى أقصى شرق آسيا؟ إذا اتحدت الصين واليابان فى قوة وكتلة واحدة - كما يخمن البعض - ولها النقيض بدلا من العداء الذى تغذيه أمريكا والغرب والاتحاد السوفييتى

السابق - فستكون أقوى كتلة في العالم ويصبح شرق آسيا هو الهارتلاند الجديد - وهو هارتلاند ولكن ليس داخليا ولا هامشيا rimland .
روسيا الجديدة أصبحت دولة مسخا تقريبا - دولة داخلية أو شبه داخلية حبيسة .

فبعد ٤ جبهات مائية وسواحل مفتوحة ، أغلق اثنان تقريبا البلطيق والأسود ، إلا من فتحيتين (فرج روسيا) على لنيجراد (بطرسبرج) والقرم .
وأصبحت دولة ساحلية على المحيط والهادى فقط .
إذن أصبحت دولة قارية تقريبا .

وحيث إنها الدولة القارة حجما ، فإن هناك الآن قارة قارية! قارة بلا سواحل حقيقية فى حين أن لكل قارة فى النهاية سواحلها!
لقد اشتدت قارية وشرق روسيا الآن أكثر من أى وقت مضى ، حتى أكثر من أيام القيصرية وربما أيام كارترين أو بطرس الأكبر!
الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة: كما قاما معا فى غفلة من الزمن ستسقطان معا فى ساعة الحقيقة . ولقد سقط الاتحاد ، والدور الآن على الولايات والأيام بيننا .



ولأن الدولتين^(١) كلتاها عرقياً وجنسيا وقوميا ودينيا . . إلخ ،
فسيكون هذا عامل سقوط فعال ، رغم البوتقة الأمريكية المعرومة فهى قد
عجزت عن هضم السود (المشكلة التى لم تعرفها البوتقة السوفييتية الشيوعية
حيث عجزت الشيوعية عن هضم القومية) .

(١) لم نهتد إلى قراءة هذه الكلمة . (الناشر) .

سقوط الاتحاد بدأ بزلزال (سببه حمق الأخرق العاجز المفلس
جورباتشوف) تحول إلى بركان نسف كل شيء .
الآن حرب لوس أنجلوس أوحرب خليج كاليفورنيا هي زلزال أمريكا -
الذي سيحول يوما ما إلى بركان مدو نهائيا .
والذي حدث بعد اندثار الاتحاد السوفيتي ليس «نهاية التاريخ» ولكن
«تراجع التاريخ» فلقد رجع أو «نكسة التاريخ» .
وتجتمع دول البحر الأسود، وتجمع دول بحر قزوين، وهي آخر بدع
السياسة الدولية الإقليمية .
والحقيقة أنها مجرد «مناورات قومية» يهدف البعض إلى استغلالها للنفوذ
الإقليمي والقوة الإقليمية خاصة تركيا بعد انهيار المعسكر الشرقي ولكن لا
جدوى .



العالم الغربى

٤ - البوسنة والهرسك

إن حرب البوسنة والهرسك واحدة من أبشع حروب الإبادة والحصار ولكننا لا ندرى . إنها قطعة تماما من حروب العصور الوسطى الصليبية التى تتألف من :

حصار مدينة + إبادةا وتصفيتهأ جسدأ .

إن شبهة الصليبيات التى ترفع رأسها حيثما صار الأمر يعنى المسلمون × الأوربيين ، هى شبهة حقيقة جدا ، بل وحقيقة مشينة مثلما هى واقعة . ويحار المرء فى فهم وتشريح وتحليل عقلية الاستعلاء الغربى من استعمار أو عنصرية طائفية إلخ .

مأساة البوسنة هى تشريح دموى بشع للعقلية الأوربية العنصرية .

فالسؤال هو: ما هى قاعدة الأساس فى العقلية الاستعمارية الأوربية: الجنس، أم الدين، أم القومية؟ أم أن القاعدة مركبة أصلا من ثلاثتها أو أغلبها؟ .

فالقاعدة الأساسية المفهومة هى الجنس - اللون - والملونون إلخ أى أبيض × ملون . والعالم كله نموذج داخل هذه القاعدة تأتى قاعدة أضيق أو أصغر: هى الدين - أى الطائفية، وتعنى مسيحي × غير مسيحي (غالب مسلم) وهذه نعرفها جيدا .

وموقف أوربا من الإسلام فى البوسنة اليوم هو تماما كموقفها من اليهود أيام اغتصابهم لفلسطين فى الأربعينيات والخمسينيات وحتى اليوم: فرصة العمر التاريخية للتخلص من دولة إسلامية فى قلب أوروبا كما كانت للتخلص من يهودهم وتدمير العرب وفلسطين ولذا فأوروبا تلعب لعبة «مؤامرة الصمت» تنفجر وتتلطف على النتيجة المرجوة، ولكن مع مصمصاة الشفاه وحركات الهمبكة للتمويه .

والتطهير العرقى Ethnic Purge الذى يمارسه الصرب فى البوسنة والهرسك هو أوقع أكذوبة فى التاريخ بعد اللاسامية .

والبوسنة والهرسك هى أول دولة إسلامية فى أوروبا الحديثة . لكن هل تكون الأخيرة؟ هل يزيلها الصرب وكرواتيا فى المستقبل بالقوة والحرب؟

من ناحية أخرى الصرب والكروات وسائر المسيحيين البلقانيين يكرهون المسلمين هناك ويحاربونهم (والآن يحاولون إبادةهم!) مع أنهم بيض تماما مثلهم حتى لو كانوا أتراك جنسا وأصلا جزئيا وسلاف أيضا أساسا .

حرب البوسنة ومأساة المسلمين بها هى قطاع عرضى وطولى، أفقى ورأسى، كامل من العصور الوسطى بحذافيرها والحروب الصليبية بالتحديد

إنها تعيد العصور الوسطى بكل مركباتها وعقدها ورجعيتها وتعصبها ودمويتها .

أن من ينظر إلى صراعات أوروبا الآن بين الدول والقومية والعنصرية . . إلخ ، لا يندهش قط لما يحدث بين العرب من تمزقات وانهيئات كل هذا طبعى وليس أوروبا أفضل منا فى هذا بكثير .

بدأت «الصليبيات الصغيرة» فى أوروبا بضرب أذربيجان السوفيتية قبل زوال الاتحاد حين طالبت بالاستقلال ولم تضرب دول البلطيق التى طالبت بنفس الشئ .

ثم تبلورت فى البوسنة والهرسك حيث تواطأ الصرب مع الكروات الذين كانا فى حالة حرب منذ شهور^(١) ضد بعض فى معركة استقلال وانفصال (كرواتيا بعد سلوفينيا) ضد مسلمى البوسنة والهرسك فأصبحت مؤامرة صليبية سافرة ضد المسلمين !

لو كانت البوسنة والهرسك هى المعتدية وقامت بإبادة الصرب والتطهير العرقى ضدها ، أو لو فرضنا جدلاً أن البوسنة والهرسك هزمت الصرب المعتدية فى الحرب الحالية فعلاً ، لانقلبت كل أوروبا + أمريكا بكل أسلحة حلف الأطلسى وغير الأطلسى لإبادة ومحو البوسنة والهرسك من الوجود ومن القاموس ومن خريطة أوروبا والعالم - تماماً كحرب الخليج الإجرامية الإبادة ضد العراق .

إنها فعلاً آخر الصليبيات ومن يقل بغير هذا كاذب إن كان غير مسلم ، وجاهل إذا كان مسلماً .

مفارقة لافتة فى الوقت الذى تحاول دول أوروبا العربية طرد المهاجرين

(١) كان هذا عام ١٩٩٣ قبل رحيل المؤلف - رحمه الله (الناشر) .

المسلمين الجدد منها ، تحاول دول أوروبا الشرقية (البلقان خاصة) طرد السكان المواطنين المسلمين القدامى (بلغاريا ، يوجوسلافيا) ، هناك حملة لتصفية المسلمين الأوربيين وتطهير أوروبا كلها من الإسلام **purge** ، بالتصفية الجسدية إن أمكن وبالطرد إن لم يمكن .

الاستعمار حول العالم تم في ظلام عصور العزلة وبدائية المواصلات ، أى فى غفلة من الناس والزمن والعلم ، وكان العالم لا يعرف بخبر استعمار منطقة إلا بعد شهر من تمامها تماما .

الآن التحرير تم تحت سمع وبصر الأقمار الصناعية وأجهزة التجسس وعلى شاشات التلفزيون يشاهده العالم أجمع .

إذا كانت الأغلبية تدين وتهاجم وتشجب الاستعمار الحديث بلا تحفظ وأقلية فقط تدافع عنه على استحياء ، فالحقيقة أن الخطأ فى الحاليين مصدره التعميم لا بد أن نميز بين حالتين : شعوب الحضارة والتاريخ والشعوب البدائية . كان الاستعمار إنقاذا وفائدة محققة للأخيرة ، ولكنه كان إهانة للأولى . كان للاستعمار أضراره أقل من فوائده للبدائيين ، ولكن فوائده أقل من أضراره للمتقدمين . كانت ضرورته أقوى من أضراره للبدائيين ، ولكنه لم يكن ضروريا للمتقدمين أو لم تكن ضرورته تبرر أضراره وأخطائه وخطاياهم للمتقدمين .



٥- الأمم المتحدة والنظام العالمى الجديد

البعض يقول إن الأمم المتحدة أصبحت الآن بعد سقوط الاتحاد السوفييتى السابق ، هى القوة العظمى الثانية إلى جانب أو بعد الولايات المتحدة ! هذه مغالطة ذكية ؟

الصحيح أن الأمم المتحدة أصبحت «ظل» القوة العظمى الأولى والوحيدة !

فقد أصبحت الأمم المتحدة الأداة التنفيذية المثلى والقفاز الحربى لأمريكا وسياسة القوة والسيطرة والغطرسة . . إلخ فى الوقت الذى أصبح العالم كله ، الكوكب ، الكرة الأرضية ، محاصرة فضائياً بالاستعمار الأمريكى الكوكبى لأول مرة فى التاريخ .

الرد الوحيد الآن أمام الدول المقهورة والترسو هو: تحطيم الأمم المتحدة بالخروج منها نهائيا بالجملة، إلى أن يتم إنشاء منظمة غير إجرامية .



النظام العالمى الجديد «ليس جديدا وليس نظاما، لا هو نظام، ولا هو جديد . لا هو جديد - لأن قبله وجد نظام واثنان وعشرة فلكل عصر توازن قواه، وهذا التوازن هو بعينه النظام العالمى أو الدولى السائد أو القائم كان هتلر يريد نظاما عالميا جديدا كان هذا مشروعه، وكذلك اليابان . . إلخ وقبل ذلك وحتى لنابليون نظامه العالمى الجديد الذى هدفه وراثة النظام البريطانى الجديد . . إلخ .

إذن، ليس النظام العالمى الجديد الذى دعا إليه مجرم الحرب والسلم بوش، إلا إدعاء كاذبا إجراميا لفرض سلامه الأمريكى Pax Aweri Cana أما أنه ليس بنظام، فكل توازن يسمى بالنظام العالمى إن هو إلا كتوازن القشرة الأرضية على باطنها الدول وتجمعاتها وصراعاتها أشبه بالألواح الأرضية التى تتصادم عند أطرافها وتتحرك وتنزلق وتتغلق وتنشق وتشقق . . إلخ، وتتفجر الزلازل والبراكين السياسية بينها كحروب وانتصارات وهزائم يعود بعدها بعض الاستقرار السياسى المؤقت إلى أن تبدأ القوى والطاقات الحبيسة تتراكم فيكون هذا هو النظام العالمى الجديد القائم، إلى أن ينهار ويحل آخر محله . . إلخ .

ولذا فكل نظام عالمى هو كيان هلامى ديناميكى متغير ببطء أو بسرعة فهو إذن نظام ولا نظام فى آن واحد وأنت نستطيع أن نتحدث عنه كنظام فعلا، ولك أن تنكره أيضا كلا نظام أى نظام عالمى ليس قفصا حديديا صارما .

وهذا هو نفس وضع ما يسمى بالنظم الدولية الإقليمية، كالنظام العربى مثلاً. فهو نظام وما هو بنظام.

بعض العرب (اللوبى الأمريكى فى العالم العربى) يتحمس للنظام العالمى الجديد المزعوم (الأمريكى) كأمل يتحقق فيه بعض مطالبه من إسرائيل، على أساس أن كل خسائر العرب تمت فى ظل وبفضل القضية الشائبة السابقة.

ليس نظاماً ولا جديداً! هذا هو ما يسمى النظام العالمى الجديد فأولاً، هو فوضى أو بالأحرى فرض لا نظام، من جانب القوة المتغطرة السائدة مرحلياً. ثانياً لكل عصر نظامه، نظامه الجديد، يفرضه الأقوى على العالم أو هو يحاول كان النظام العالمى الجديد أيام السيادة البريطانية هو السلام البريطانى وكان لهتلر مشروعه لنظام عالمى جديد New World Order.. إلخ أما الآن فهو أو وهم بوش المجرم، مجرم الحرب والسلام حلم لن يتحقق بل تحطم فعلاً حتى فى عقل صاحبه المخبول، وسقط معه إلى سلة مهملات التاريخ والسياسة.

وليست أمريكا زعيمة العالم، بل زعيمة العالم «العربى» وحده والنظام العالمى الجديد لا يوجد فى عقل العالم، وإنما فى «فراغ» عقل العالم العربى فقط وربما لو لم يوجد، لأوجدّه العرب!.

والشرعية الدولية هم الاسم الدبلوماسى (أو الحركى!) للسيادة العالمية اقرا «الهيمنة الدولية».

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
اللوحة رقم ١	٢١
اللوحة رقم ٢	٢٣
اللوحة رقم ٣	٢٥
الفصل الأول : مصر والمصريون	٢٩
الفصل الثاني : الجغرافيا والجغرافيون	٤٥
الفصل الثالث : العرب والعالم العربى	٨٩
الفصل الرابع : الإسلام والعالم الإسلامى	١١١
الفصل الخامس : العالم الغربى	١٤٩
١- أوروبا	١٥٩
٢- أمريكا	١٦١
٣- روسيا	١٦٩
٤- البوسنة والهرسك	١٧٧
٥- الأمم المتحدة والنظام العالمى الجديد	١٨١
المحتويات	١٨٤

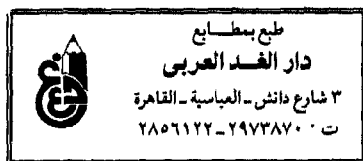
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٦/٨٧٨٦

الترقيم الدولي

I. S. B. N.

977 - 5066 - 34- 4



جمال حمدان وأوراقه الخاصة

لم يكن جمال حمدان عالمًا في الجغرافيا فحسب . .
ولكنه كان عبقرية فذة . . وعاشقًا لمصر كأعظم ما يكون
العشق . ولقد اندمجت عبقريته الفذة مع عشقه العظيم
لمصر الخالدة . . فصاغ رباعيته العظيمة [شخصية مصر -
دراسة في عبقرية المكان] والتي استطاع بمهارة فائقة أن
يحول علم الجغرافيا . . الذي يهتم بالتضاريس والجبال
والوديان إلى سمفونية موسيقية رائعة .

ولقد كان الرحيل المفاجيء . . والظروف الغامضة التي
اكتنفت رحيله . . صدمة شعية . . ذلك أن «جمال
حمدان» كان واحدًا من أعظم رموز الوطنية المصرية .

وإنه لمن دواعي سرور «دار الفكر العربي» أن تقدم
للعالم أجمع الجزء الأول . . من أوراقه الخاصة . . والتي
سجل فيها ما يشبه المذكرات . . والتي قام شقيقه الدكتور
عبد الحميد حمدان بإعدادها في ثلاثة أجزاء .

إن هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم هو وثيقة لمفكر عظيم
أنجبه مصر - ومصر دائما ولادة للنجباء - يتناول فيه العديد
من القضايا الراهنة بحس العالم . . وشعور العاشق لمصر
وبشعبها العظيم . .

حمدان جعفر

مدير دار الفكر العربي

التمن ٤ جنيهات